د. ميلاد حنا

نعم.. أقباط
لكن.. مصريّون

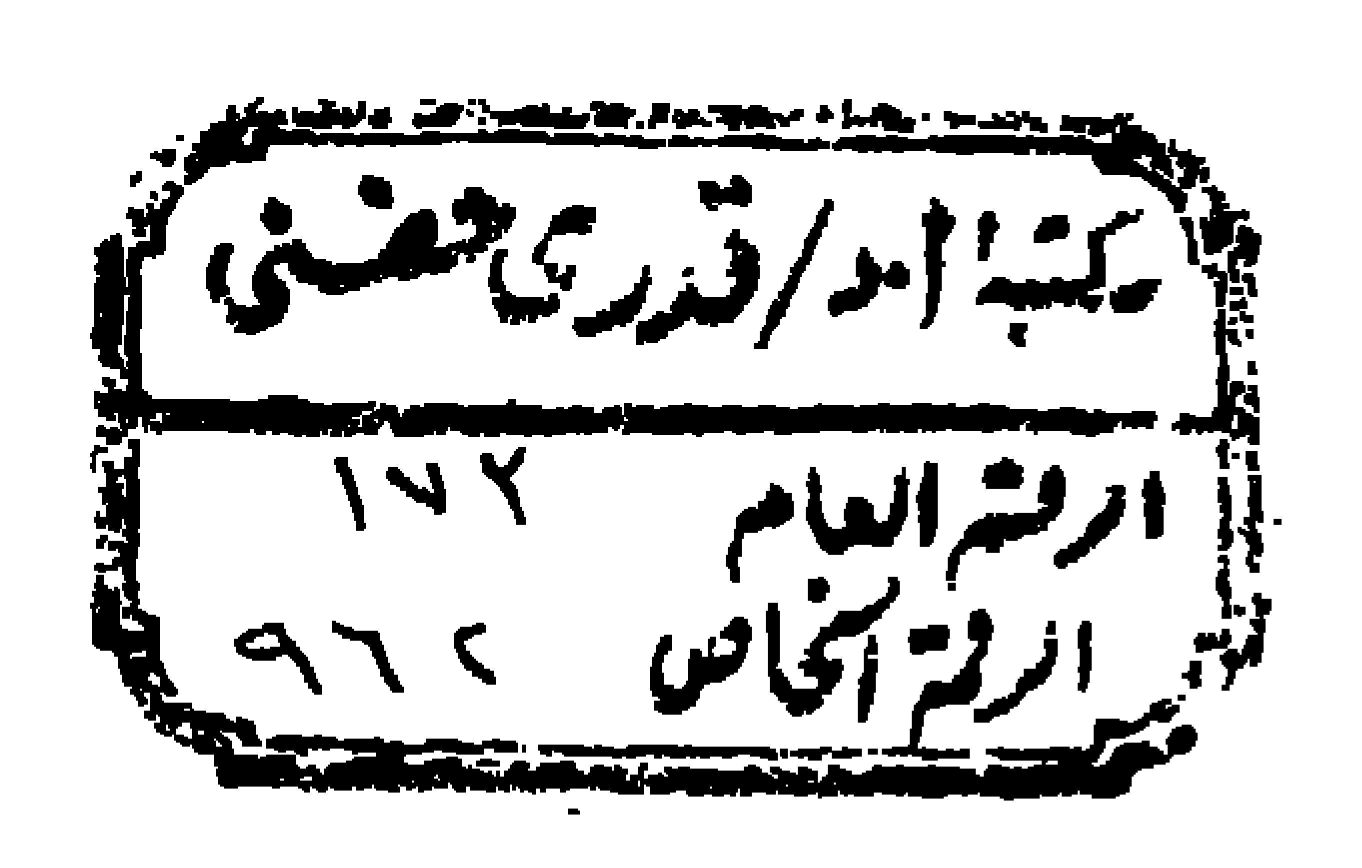
- الأقباط يناوشون مصطفى كامل
- ...أقباط يقبلون على اليسار ثم ينسحبون
- ...ل كان الأقباط سلبيين
- ...م سعداء مع عبد الناصر ؟

د. ميلاد حنا

نعم .. أقبـاط لكن .. مصريّون

الناشر : مكتبة مدبولى

١٩٨٠


مكتبة أ.د/ قدري حفني
الرقم العام ١٧٢
الرقم الخاص ٩٦٢

ما فى هــذا الـكتاب

بين الذاتية والموضوعية

من القضايا التى تستوقفنى عند تحليل أو مناقشة سرد لقضية فكرية أو سياسية لانسان ما ، هــو أن أتعمق قليــلا لاكتشاف الدوافــع **الذاتية** الجــوانب **الموضوعية** فى العمل أو الانتاج • فالانسان كائن ذاتى يهتم بنفسه ويبحث عن ذاته وهذا حقه ، ولكنه من خلال ذاته لابد أن يتجرد ليكون موضوعيا باحثا عن الحقيقة والصــــدق •

وغالبا ما أتصور الانسان وقد تجرد تماما وأنكر ذاته فصار طرحه موضوعيا خالصا • عندئذ أتخيــله وكأنه قد فرد جنــاحين صــافيين فارتقى الى مصاف **المــلائكة** ، وفى ذات الوقت أتصور انسانا آخر على الطرف النقيض وقد أصبح محور حياته هــو تحقيق ملذاته فاذ بى أنظر اليه وقــد صارت له أجنحة داكنة سوداء ، وكأنه ابليس أو الشيطان •

ولا أحسب أيا منا ملاكا طاهرا ولا ابليسا مجسدا ولكن فى كل منا صورة للخير والشر على حد سواء ، ويحمل كل منا مقومات كل من الذاتيه والموضوعية فى آن واحد .

واذا كان المحور الرئيسى لموضوع هذا الكتاب هو « أقباط مصر والسياسة » ، فان هذه الأسطر القليلة التى أوردتها فى صدره ـ والتى قد تضفى نوعا من الفلسفة ولعلها سفطة ـ لابد وأن تقودنى لأن أشرح « ذاتى » أولا قبل أن أدخل الى صلب « الموضوع » فرغم أننى سأحاول التجرد عن قبطيتى لأكون موضوعيا بحكم ممارستى للتعليم الجامعى فى مجال الهندسة والتى تحكمها المعادلات والارقام المتجردة لما قد يتجاوز ثلث قرن من الزمان ، ولكن كلماتى لابد أن تكون حصيلة لحياتى أى لذاتى .

* * *

نشأت فى حى شبرا بالقاهرة حيث تسكن الطبقة الوسطى وحيث تتكاثر نسبة التواجد المسيحى وكان جدى لوالدتى « الخواجا جرجس مترى » ناظرا للكنيسة الأولى للأقباط فى هذا الحى والتى تصادف أن كان مولدى عام ١٩٢٤ مع بداية انشائها فكانت اقامتى مرتبطة ومتجاورة لكنيسة السيدة العذراء بشارع مسرة بهذا الحى .

كان قسيس الكنيسة يزور « **البيت الكبير** » من الحين والآخر وكان « عريف » الكنيسة « الضرير » المعلم عريان يحضر كل أسبوع لكى يعلمنى ألحان الكنيسة **وترانيم القداس** ، وما أن وصلت العاشرة حتى كنت أحفظها عن ظهر قلب ... ورسمت شماسا بالكنيسة .

كان ـ ولا زال ـ كل لحن من هذه الأنغام له عندى وقع خاص ، فألحان عيد القيامة لا زالت تدخل البهجة الى نفسى ، أما نغمات أسبوع البسخة والجمعة الحزينه ، فهى التى أجد نفسى دون وعى منى أرددها حتى الآن كلما عشت أزمة أو عاصرت موقف حزين... !!

وفى سن الشباب ، وجدت نفسى « قائدا » فى حركة **مدارس الأحد** وقضيت أواخر الثلاثينيات وأغلب الأربعينيات فى صلب الحركة أصعد معها وأدفعها وتدفعنى ... كان هناك صراع بين جيل قديم من الأساقفة والمطارنة وقد تربع على كراسى الكنيسة القبطية ، وبين جيلنا ... رأينا فيهم مجموعة قد نحترمهم بسبب الكهنوت ، ولكننا لم نحبهم ولم نشعر بأنهم متعلمين ولا حتى فى الجوانب الدينية ، وكان يفزعنا ما يحملون من السلاسل والصلبان الذهبية التى اقتناها بعضهم من السيطرة على أموال وأوقاف الكنيسة

... كان صراع أجيال ... صراع ثقافة وفكر ، ثم كان صراع بين من يمثلون ويسيطرون ... فى مواجهة جيل شاب متعلم من الطبقة الوسطى يتطلع لأن يبنى كنيسة أنقى وأرقى ترفع مستوى الشعب وتجعله أكثر انتماءا الى المبادىء المسيحية الاصيلة . ومن خلال هذه الحقبة تعرفت على عديد من الشخصيات التى تحتل مراكز القيادة فى المجال الدينى الآن .

وفى هذا المناخ شد انتباهى بساطة حياة المسيح ثم الأسلوب الاشتراكى الذى كنا نلقنه للأطفال فى مدارس الأحد عن حياة تلاميذ المسيح كما هى مدونة فى سفر أعمال الرسل ثم سير القديسين والشهداء فى العصور الأولى للمسيحية وتأثرت لشجاعتهم ومقاومتهم للظلم ... وهكذا كانت اللبنة الأولى فى قلبى وفكرى ووجدانى من أجل تصور لمجتمع أفضل يقدم سبل الحياة الكريمة للمواطن الأضعف ... بدأت من نقاء تصوفى لكى ابنى هرما اشتراكيا من الطينة المصرية .

* * *

سافرت الى انجلترا فى بعثة فى أواخر عام ١٩٤٧ وحصلت على الدكتوراه وتهت فى مجال الفكر العالمى ، وقرأت كل ألوان الكتب ... وعشت هذه الفترة فى صراع بين الفكر الدينى الذى نشأت فيه ، والفكر

والمجتمع العصري الذى عايشته ، وقــد أثر فى أن وجدت المجتمع الأوروبى رغم ماديته فانه يعيش أخلاق وحياة القيم المسيحية النقية دون أن يمارس طقوسها ٠٠٠٠

* * *

وفى منتصف السبعينيات جاءنى احساس بأن ما حــدث فى لبنان يمكن أن يحــدث فى مصر ثم تصادف أن جمعتنى حفلة مــع الاستاذ محسن محمد ، وطرحت عليه توجساتى ـ وكان الاستاذ محسن محمد فى ذلك الوقت قد نقل من دار أخبار اليوم لكى يصبح رئيسا لتحرير جريدة الجمهوريـة ـ فقال ولماذا لا تسطر أفكارك على الورق ٠٠٠ سأنشرها لك ٠٠٠ فقد رغب فى أن يجعل جريدة الجمهورية مختلفـــة عن باقى الجرائد الاسماء بالقومية ويزيد توزيعها ٠ أرسلت المقال الاول الى الاستاذ محسن محمد ، دون أن أعطى المقال عنوانا ، وتصادف أن كان نوفمبر ١٩٧٥ معاصرا لدراسة وعرض مبدأ انشاء المنابر الثلاث كأجنحة للاتحاد الاشتراكى العربى ، ومن ثم اختــــار الاستاذ محسن محمــد عنــوان المقــال « **ميزة أخرى للمنــابر** » تحسسا وتهــربا من الطريق الشائك اذا ما كان قــد وضع العنوان الحقيقى للمقــال وهو فى تقــديرى « حتى لا تتلبنن مصر » ٠٠ ولو على الطريقة المضربة ٠

وبعــد مضى ما يقرب من الشهر على كتابة المقــال الأول ـ والذى أثار جـدلا وحـوارا ، تعرض الرئيس السادات من خلال التليفزيون فى عيد ميلاده فى ٢٥ ديسمبر١٩٧٦الى نشأته وتعليمه وكيف أنه « كان يتعلم فى مدرسة الأقبــاط ٠٠٠٠ » ٠

ثم نصادف أن حضر فى أجازات عيد الميلاد فى هذا العــام مئات وربمــا آلاف من الأقبــاط المصريين الذين كانوا قــد هــاجروا الى الولايات المتحـدة أو كنـدا أو استراليا ابان فترة حكم الرئيس جمال عبد النـاصر ، ولكنهم رحبـوا وسـعدوا بسياسة الانفتاح التى كان قــد بدأها الرئيس السادات ٠٠٠ وحضر فى ذلك الوقت آلاف منهم بعـد غيبة سنوات طويلة وأغلب الظن فان غالبيتهم يحملون أفكارا يمينية بل ان هـؤلاء الأقبــاط من المهاجرين هم أنفسهم الذين كانوا موضع الشـكوى من الحكومة عام ١٩٨٠ ٠

وفى لحظات سطرت مقال ثان **« من اجل مزيد من الوحـــدة وطنية »** وقـــد نشر بالفعــل فى جريدة الجمهورية فى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٥ وما يلفت نظرى الآن ، كيف أننى فى استهلالى للمقــال ذكرت : « أما وقـــد اكتشفنا أن طريق النور والصراحة هو السبيل الامثل

... فلا بأس من أن نناقش الأمور بواقعية **وبنظرة مستقبلية تحاشيا لأخطار قد تقع** ثم احتياطا وتوعية ... اذ قديما قالوا ان الوقاية خير من العلاج » .

أما المقال الثالث الوارد فى هذا الكتاب فهو ليس لى ، ولكنه للكاتب الوطنى **المرحوم سامى داود** ، فقد نشر مقاله بجريدة الجمهورية كذلك فى ١٦ مايو ١٩٧٦ بعنوان « **قانون واحد لشعب واحد** » ... وقد شاء القدر أن يكون هذا المقال هو آخر ما نشر لهذا الكاتب الشفاف ...

وقد تأثرت بالمقال ، ثم تصادف أن تحادثت مع سامى دواد عبر الهاتف ولكن لم أكن أدرى أنه حديث الوداع ... وعندما مات حزنت فكتبت فى ٣٠ مايو ١٩٧٦ مقالا بعنوان « **فى سبيل مصر ووحدة شعبها** » ... وهذا هو المقال الرابع والذى ينهى الجزء الاول من هذا الكتاب ولعله ينهى كذلك حديثي عن نفسي ، اذ ما رغبت الا أن أعطى خلفية تاريخية للقارىء توضح أن للمشكلة جذور .

***

ورغم أننى لا أنكر أن عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ قد اعتصرانى فى دراسة موضوع الاسكان والتى وصلت إلى

نهاياتها بنشر كتابى بعنوان « **أريد مسكنا** » ولكن موضوع الوحــدة الوطنية لم يغب عن بالى « لحظة واحدة أو طرفة عين » ... لأننى كنت أدرك أن السبيل اليسير لشرخ مصر هــو من خلال تفجر الصراع الطائفى وكنت أشتم رائحة مؤامرات تحاك فى الداخل والخارج للنيل من هــذه الوحــدة الأصيلة ...

أدركت ذلك ولكن لم أجــد من سبيل لدرء الخطر عن مصر ، لأن ســـبل النشر فى هــذا الموضوع كانت مقفلة بل لعلى تأزمت بالفعل للحرج الذى أوقعت فيــه الاستاذ محسن محمد من خلال سماحه لى بنشر المقالات التى أشرت اليها أعلاه والتى تكون الجزء الأول فى هــذا الكتـــاب .

وهكذا أفرغت ما لدى من مشاعر وتخوفات فى قراءة التاريخ ، وكان لدى احساس غامض بأن شيئا ما يرتب لتفجير مصر من الداخل ... وفى ذات الوقت أردت أن أثبت لنفسى أن مؤامرات أخرى قد حيكت لمصر فى مراحل تاريخها الطويل ، ولكن فى كل مرة انتهت المؤامرة وظل شــعب مصر موحــدا كالصخر .

أشهرت سلاحى الوحيد من خلال الورقة والقلم ، فسطرت دراسة بعنوان « **موقع أقباط مصر على الساحة**

السياسية » ووجدت حجم الدراسة ، لا هو بالمقال الخفيف الذى يمكن نشره فى جريدة سيارة ، ولا هو بالدراسة المستوفاة التى تصدر فى كتاب مستقل ، ولعل توجهى كما هو واضح من الدراسة ذاتها هو أن أعرف القارئ العربى بما يحدث فى مصر ، وما يمكن أن يحدث فى مصر •

ولم أعر فأين أنشر هذه الدراسة ، حتى وجدتها وقد ظهرت بالفعل على صفحات مجلة « دراسات عربية » فى بيروت فى عددها الصادر فى نوفمبر ١٩٧٩ •

وبسرعة شديدة وجدت هذه الدراسة وقد تناقلت بين المثقفين والحريصين على وحدة مصر وتماسكها ، واذ بى أجد عديد من التعليقات فالمتزمتين من الجانبين ينتقدون الدراسة فى كلمة هنا أو عبارة هناك ، ولكن الغالبية من المواطنين العاديين رحبوا بها ، بل ووجدوا فى طرحها أسلوبا علميا وعمليا لخلق مناخ يساعد على تفهم أبعاد القضية بل لعلها تقدم استنارة تضيىء الطريق وتجنب مصر المكارة وتدفع عنها الفتنة التى لن يستفيد منها الا أعداء مصر •

وهذا هو الجزء الثانى من الكتاب ولعله صلب وعصب الدراسة كلها •

أما الجزء الثالث والأخير فهو انفعال نفسى أكثر منه تحليل سياسى رغبت فيه أن أساهم من خلال الكلمة المطبوعة فى اطفاء النار التى اشتعلت فجأة فى أبريل ١٩٨٠ نتيجة لقرار المجمع المقدس بأن يمتنع عن استقبال المهنئين بعيد القيامة ... فكان ذلك كاللغم الذى فجر القضية كلها ونبهت كافة المواطنين المخلصين بأن الشراره التى كانوا يراقبونها فى التبين قد تستشرى وتتبسع ولذا وجب التنبيه ..

أبريل ١٩٨٠

ميلاد حنا

الجزء الاول

المقـال الاول :

ميزة أخرى .. للمنـابر (*)

لا شك أن قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة بدمغ الصهيونية بأنها حركة عنصرية ، معـول هـدم أساسى فى الركـائز الفـكرية والمبدئيـة التى تبنى عليهـا اسرائيل ..

لقـد اقنعت الحركة الصهيونية العالم بأسره بأن يهـود العالم غير قادرين على أن يمتصوا فى المجتمعات البشرية سواء فى العالم الرأسمالي أو الاشتراكى أو حتى العـالم الثالثولذلك لم يكن من مفر أمام العـالم الا الخضوع لفكرة ــ الوطن القومى لليهود ــ ..

غير أنه من جانب آخر لم يحدث حوار واسع حول ما اذا كان هـذا الفصـل بين اليهود وسـائر أنواع

(*) جريدة الجمهورية ٢٩ نوفمبر ١٩٧٥ .

وأجناس البشر راجعا الى نقص أو عيب أو خاصية فى اليهود بالذات كجماعة أم هو عدم قدرة وقابلية المجتمعات البشرية الاخرى على الاستيعاب أو التعايش ..

من أجل هذا فان الصراع العربى الاسرائيلى لابد وان يعالج ـ ضمن قضايا أخرى عديدة ـ موضوع استيعاب الاقليات داخله وامكانية تعايش الاديان المختلفة فى سلام اجتماعى من أجل التقدم .

ولقد أبرزت الحرب الاهلية فى لبنان مؤخرا أهمية معالجة هذه القضايا وبحث تأصيلها التاريخى وعدم الاكتفاء بشعار ـ دع الفتنة نائمة اذ أن المستفيد الاساسى من الفتن القائمة هو الاستعمار والرجعية .. اذ هو يفجرها فى الوقت الذى يراه مناسبا لاطماعه وأهوائه .. وما حدث فى لبنان فى مراحل مختلفة خير شاهد على ذلك .

ومن أجل ذلك فان الدراسة الهادئة الموضوعية ـ فى وقت السلم الاجتماعى ـ هى الحصن الذى يمكن أن تتدرع به الشعوب ـ وبالذات فى العالم الثالث ـ حتى

يتكون الوعى الكافى والاصيل الذى يجنب هذه الشعوب أزمات قد تكون طاحنة وشديدة .

ومن جانب آخر فان مشاكل الاقليات ليست قاصرة على دول العالم الثالث فحسب بل يشهد العالم الان العديد منها وحتى فى أرقى هذه الشعوب مستوى من الناحية الاقتصادية وربما الحضارية ..

وما مشكلة الزنوج والملونين فى أمريكا أو الصراع بين البروتستانت والكاثوليك فى ايرلندا الا أمثلة تثير العديد من التساؤلات فيما اذا كانت هذه الدول فعلا متقدمة ومتحضره .. غير أن هناك ـ كوجه آخر للموضوع ـ حالات عديدة أمكن فيها للاغلبية الواعية امتصاص الاقليات ومنحها كل ما تصبو اليه من أمانى باعطائها كل الحقوق ..

ويحضرنى فى هذا الشأن ما أصدرته حكومة السويد من تشريعات لرعاية القبائل المنجولية الاصل فى المنطقة المتجمدة الشمالية قرب بلدة كيرونا والمعروفة باسم لابلاند وهم رعاة وملاك الغزال فى أقصى الشمال فقد أكدت حكومة السويد ـ بفهم اشتراكى ـ كل حقوق هذه القبائل فى ملكية الغابات وقصر حق صيد

الغـزلان عليهم فقـــط وفى ذات الوقت قـــدمت لهـــم برعاية زائدة كل ما يقدم للمواطن السويدى من تأمينات وخـدمات .. وهكذا استقرت هـذه القبائل وان كان أفرادها مترددين بين الامتزاج والتزاوج التـــام مـــع السويديين ـ الاخرين ـ وبين الاحتفاظ بالخصـائص ـ المميزة ـ لتراث وتاريخ هـذه المجموعات البشرية ..

ثم هناك مثل آخر لعلاقة الجزيرة الشهيره جرينلاند ـ وأغلبها فى المنطقة المتجمدة الشمالية ـ بالدولة الام وهى الدنمارك استمرارا لعلاقة قديمة كريهة عندما كانت جرينلاند مستعمرة للدنمارك ففى الوقت الراهن تعتبر جرينلاند جزءا لا يتجزأ من الدنمـــارك وللمواطـن فى المستعمرة السابقة كل الحقـــوق ـ وعليـــه كذلك كل الواجبات ـ للدنماركى الاوروبى الابيض اذ أن سكان جرينلاند هم ما يعرفون ـ بالاسكيمو ـ .

وفى بعض الاحيان يشكو بعض أجنحـــة الاحزاب اليمينية من كثرة ما يوفر من اعتمادات لرفاهية شـــعب جرينلاند نظرا لضمور مواردها الطبيعية بينما يطـالب اليسار بمزيد من العطاء لشعب ـ جرينلاند ـ الشقيق .. تعويضا له عن المرحلة ـ الاستعمارية ـ السابقة ..

واذا عدنا من هذه ـ الجولة حول العالم ـ الى شرقنا الاوسط فأغلب الظن أن النموذج المصرى فيما يتعلق بوحدة ـ عنصرى الامة ـ من مسلمين وأقباط جدير بالدراسة والبحث لالقاء الضوء على تراثه وسوابقه اذ أن أزمة لبنان الحالية قد ساعدت الصهيونية فى حججها بعدم امكانية ـ التعايش السلمى للاديان ـ ٠٠ حتى السماوية منها ولذلك وجب ابراز ما لدى المنطقة من نماذج أخرى ـ أكثر توفيقا ـ خصوصا وأن بعض الصحفيين الاجانب ـ وبعضهم من السويد ـ قد حضروا الى مصر لدراسة نتائج حرب أكتوبر داخل مصر ويتساءلون فيما اذا كان ما حدث فى لبنان يمكن أن يحدث فى مصر ٠٠

وقد قطعت لهم باستحالة تكرار ـ المرض اللبنانى :

● ينتمى أقباط مصر الى الارض والتراب المصرى انتماء الاهرام والنيل فلا يمكن لهم بالطبيعة والتاريخ والتراث الا أن يكونوا مصريين وطنيين ولعل فى كلمة قبط أو جبط وهى من كلمة ايجتطوس أى الارض السوداء وهى جزء من كلمة ـ ايجيت ـ التى تعرف بها بلادنا فى كل لغات الارض تقريبا ٠٠ أن فى ذلك ما يؤكد الانتماء الاصيل لهذه الرقعة من الارض ٠٠

وفى ذلك فهم يختلفون على أى فئات أو أقليات أخرى فى مصر مثل اليونانيين والايطاليين والمغاربة والاتراك والارمن وغيرها الكثير من المجموعات البشرية التى استوطنت مصر وأمكن لبلادنا امتصاصها كليا أو جزئيا ..

● يحمل الاقباط ـ كجزء أصيل فى بلادنا ـ كل الخصائص الحضارية للشعب المصرى ككل ولذلك فهم يتسمون بالطيبة والبساطة والبعد عن العنف وتحمل الصعاب بصبر حميد وفى ذلك فان التكوين النفسى للمصريين عن هذه الناحية هو من تراث الحضارات الزراعية فى الوديان المنبسطة حيث الامان والولاء للحكومة المركزية التى تملك مفاتيح الحياة عن طريق نهر النيل العظيم ، اذ هو شريان يوصل الامن ورجاله الى كل نجع فى الوادى عبر القرون ..

● ينتشر الاقباط فى مصر انتشار الماء والهواء فهم متواجدون جنبا الى جنب مع أشقائهم المسلمين فى كل مكان وموقع .. فى المدينة كما فى أعماق الريف .. منهم المثقف فى أعلى الدرجات ومنهم الامى سواء بسواء ويتوافر فيهم الاثرياء بنفس القدر وربما نفس النسبة التى يوجد فيها منهم فقراء وموعزون .. منهم

العامل والفلاح والصانع والحرفى .. كما منهم المهنى ورجل الاعمال وموظفو الدولة فى كافة درجاتها،باختصار فهم نسيج كامل من أهل مصر فى كافة صورها الحميدة وغير الحميدة .. خيرة الرجال وشرهم على حد سواء ..

ورغم كل هذه العوامل المميزة لوضع الاقباط كنسيج متداخل وجزء أصيل وأساسى من مصر ، الا أنه لابد من الاقرار بأنه قد مر على مصر بعض الاونة المظلمة حين كان بعض الحكام من المماليك والاتراك يؤلبون الاغلبية المسلمة على الاقلية القبطية فكان هناك بعض الاضطهاد الذى ترك بصماته على نفسية القبطى فأثر ـ المشى جانب الحيط ـ والابتعاد عن المجالات السياسية اذ ان السلطان من لا يعرف السلطان ..

فاهتم الاقباط أكثر ما اهتموا بالحرف اليدوية واتقان علوم الحساب فكان منهم فى القرية ـ المعلم ـ الذى يبنى والنجار والصباغ والصايغ .. ثم كان منهم الصراف فى القرية ـ والباشكاتب ـ فى المدينة ..

غير أن ثورة ١٩١٩ قد أخرجت الشعب القبطى بشكل واضح الى الحياة العامة فكان منهم قيادات سياسية عديدة فى حزب الوفد والذى كان تعبيرا عن ـ تحالف

قوى الشعب العامل ـ من ناحيــــة التمثيل الطبـــقى وتجسيدا للوحـدة الوطنية فى القيادة وفى القاعدة٠٠

ومع وجود الاحزاب كان تواجـد القيادات القبطية مظهرا طبيعيا ومنطقيا اذ كان القبطى يرشح نفسه عن حزبه فيتنافس المسلم قبل القبطى لنصرته باعتبـاره ممثلا لفـكر الحزب وليس على أســـاس دينى وكانت النتيجة أن تواجد الاقباط فى مجلس النواب وفى مجلس الشيوخ بنفس نسبة تواجدهم فى المجتمع على قـدر نشاطهم وحماسهم معبرين عن مصر بأكملها ٠

ولما كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قـد قامت على تنظيم ـ الضباط الاحرار ـ وهو تنظيم سرى فى أساسه فقـد شاءت الظروف أن لم يكن بين الضـــباط الاحرار ممن ينتمون الى أصل قبطى ولذلك فقد كانت القيادة الفوقية خالية منهم ٠ وقـد عـولج ذلك الامر بأن ـ اختارت ـ القيادة بعض ـ المثقفين ـ كممثلين عن الاقباط ولذلك فقد كان الاختيار من أعلى وليس من القواعد أو نتيجة لحركة سياسية ٠

وقـد ظهر هـذا الفراغ السياسى واضحا تماما مـع الانتخابات سواء لمجلس الشعب أو للاتحاد الاشتراكى أو فى المجالس المحلية ٠٠ وفى برلمـان ١٩٥٧ اضطرت حكومة عبد الناصر الى ـ قفل ـ بعض الدوائر الانتخابية

علي ـ الاقباط وعـدم السماح الا للاقباط بالترشـيح فى دوائر معينـة ـ ومن الطبيعي أن يصبح هذا الحل ·· شبر مريح ـ لكل من الاقباط والمسلمين ·· فلجأت الحـكومات المتعاقبـــة الى حـــل ـ أقـل راحة وهــو تعيين بعض الشخصيات العامة من الاقباط في مجلس الشعب ··

واذا كان موضوع المنابر للاتحاد الاشتراكى قد عولج من عـديد من الزوايا فاننى أرى أنـه قد يكون مع الزمن هو الحل والبديل لهـذا الوضع الشاذ · اذ أن تواجـــد منـابر معبرة عن اليمين أو اليسار سوف يجذب القيادات السياسية ـ مسلمة وقبطية ـ على الانضمام والنشاط وبلورة الفكر السياسى فى التيار الذى تراه ·· وعندئذ سوف يكون تأييد الجماهير والمفاضلة بينهم ليس الا على ركيزة من الفكر والمبدأ ··

ومن هــذا المنطلق فأننى لا أرى مصر بكل تراثهـا وحضارتها وتكوينها الا وحـــدة متكاملة متماسكة وان ما ظهر أو قــد يظهر من بعض الرياح الكريهـة لا يلبث أن يضيع وسط الجو الصحى السائد والذى سيؤكده كل الشعب بكافــة طبقاته وفئاته ·· واننى اعتقد أن المنـابر السياسية مــع الزمن سوف تدمــــج الشعب المصرى وتصهره فى بوتقـــة الفكر والرأى ترديدا لشعار ثورة ١٩١٩ ـ الدين لله والوطن للجميع ـ !!

المقال الثانى :

من أجل مزيد من الوحدة الوطنية (*)

كثيرا ما اختلف معى بعض زملائى فيما اذا كان موضوع الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط مما يناقش على الملأ وفى الصحف أم أنه من المواضيع « الحساسة » التى تناقش فى الغرف « المغلقة » .

أما وقد اكتشفنا أن طريق النور والصراحة هو السبيل الامثل لتحقيق النصر ، فلا بأس من أن نناقش الامور بواقعية وبنظرة مستقبلية تحاشيا لاخطار قد تقع ثم احتياطا وتوعية .... اذ قديما قالوا أن الوقاية خير من العلاج ..

ومن ناحية أخرى فان الرصيد التاريخى للوحدة الوطنية من الضخامة والقوة بحيث ستتحطم على صخرته أى أمواج قد تكون طارئة أو عابرة ..

ودون أن نبحث فى أعماق التاريخ ، فقد كان حديث

(*) جريدة الجمهورية ٢٩ ديسمبر ١٩٧٥ .

الرئيس السادات ومن خلال الشاشة الصغيرة فى عيد ميلاده معبرا عن واقع بلادنا فى أنه « كان يتعلم فى مدرسة الاقباط التى هى ملحقة بالدير ٠٠ دير قديم له تاريخ وله مطران ٠٠ قد كده له أهمية فى التاريخ القبطى عندنا ٠٠ » ٠

أما اذا استرجعنا بعض لمحات التاريخ الحديث منذ عام ١٩١٩ ، يذكر الاستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الوطنى أن سعد زغلول قد نفى الى جزيرة سيشل فى المحيط الهندى وأبحر فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢١ فى صحبته فتح الله بركات باشا وعاطف بركات بك ، مصطفى النحاس بك وسنيوت حنا بك والاستاذ مكرم عبيد ٠

وفى ذات اليوم صدر بيان يدعو الشعب المصرى بمقاطعة الانجليز وعدم التعاون معهم وقد وقع هذا النداء حمد الباسل وويصا واصف وعلى ماهر وجورج خياط ومرقص حنا وعلوى الجزار ومراد الشريعى وواصف بطرس غالى ٠

فكان واضحا للعيان أن الخط الاول والثانى للحركة الوطنية كانا تعبيرا عن انصهار عنصرى ٠ الامة

تماما فى وحدة متكاملة ٠٠ وعقب صدور هذا النداء بالمقاطعة السلبية اعتقلت السلطة العسكرية البريطانية الاعضاء الذين وقعوا عليه وسجنهم فى ثكنات قصر النيل (مكان فندق هيلتون والجامعة العربية والاتحاد الاشتراكى حاليا) فتكون خط ثالث من نفس التكوين وهكذا ٠٠

وفى عام ١٩٣٠ عندما صدر الامر الملكى بحل مجلس النواب والشيوخ تآمر الملك مع الاستعمار البريطانى لإلغاء دستور ١٩٢٣ ٠٠ اتفق الشيوخ والنواب على أن يطلب ويصا واصف رئيس مجلس النواب ومحمود بسيونى وكيل مجلس الشيوخ من وزير الداخلية تسليمهما مفاتيح البرلمان وفك الشمع عن أبوابه ٠

واذا عدنا الى تقاليد القرية نجد عمق المشاعر الطيبة بين الاقباط والمسلمين واضحة فى حسن الجوار والعشرة الطيبة ففى كل من الافراح والمآتم يخرج كل من المسلمين والاقباط لتبادل التهانى فى المسرات والاعياد أو السير فى مجموعات بشرية متماسكة فى المآسى والتعزيات فالوحدة قائمة وقوية فى السراء والضراء على حد سواء ٠

بل وأكثر من ذلك فان التاريخ المشترك والتواجد

المتداخل قد أوجد أعيادا دينية مشتركة فالايام الاولى للسنة الهجرية « عاشوراء » يحتفل بتقاليدها فى أغلب بيوت الريف المصرى أقباطا ومسلمين ‥ ويطالب الطفل القبطى بالحصان وتبكى الفتاة القبطية لتحصل على العروسة الحلاوة عندما يحل المولد النبوى ‥ ويجمع عيد شم النسيم والذى يأتى عقب عيد القيامة مباشرة ، كل من الاقباط والمسلمين فى بهجة وحب انطلاقا من تراث يعود الى أيام الفراعنة وعيد الحصاد ٠

والعديد من السيدات المسلمات قد يشاركن فى بعض الصوم القبطى طلبا لشفاعة أو عقيدة لقضاء حاجات ‥

من أجل ذلك فأنني أدعو الدكتور مصطفى كمال حلمي وزير التعليم وهو مثال المثقف العصرى والمتمسك بتراث بلادنا ‥ لان يدرس اقتراح أن يكون يوم عيد الميلاد فى ٧ يناير عطلة فى المدارس اذ أنه من الناحية العملية لا تستقيم فيه الدراسة فعلا لغياب المدرسين والطلبة الاقباط حتى ليصعب على ادارة بعض المدارس توفر العدد الكافى الذى يسيطر على الفصول دون تعليم ٠

أن تنفيذ هذا الاقتراح لن يحسم الفوضى فى المدارس والجامعات فى هذا اليوم فحسب ولكن سوف يسعد الاقباط كثيرا اذ سيتأكد لهم فوق كل تأكيد أنهم

جزء فعال وأساسى فى كيان المجتمع ككل ٠٠ ومن جانب آخر فان ذلك سيعطى فرصة أوسع لتبادل التهانى بالعيد للوحــدة الوطنية ٠

وفى هــذه الايام تسعد آلاف الاسر القبطية بعودة بعض أولادها الذين اضطرتهم ظروف مصر للاغتراب فى بلاد أجنبية وذلك لقضاء عيد الميلاد فى أحضان الاسرة والوطن واستفادة من أجازات واحتفالات عيد الميلاد فى البلاد التى اختاروها لاقامتهم وبالذات الولايات المتحدة وكندا واستراليا حيث توجــد جاليات مصرية قوية بها بنسبة عالية من الاقباط ٠٠ وكان لهــا مواقف وطنيــة مشرفة أثناء زيارة الرئيس السادات الى أمريكا ٠

وقــد تحادثت مع بعضهم ممن حققوا نجاحا هائلا فى الخارج فكانت دهشتى شديدة اذ أنهم جميعا ــ أو الغــالبية العظمى منهم ، يفضلون العـــودة الى مصر ولا يشعرون بالسعادة الا فــوق هــذا التراب ، رغم ما وصلوا اليه من مراكز علمية واقتصادية عالية تماما ٠ ورغم ما تعانيه بلادنا من مشاكل معيشية ويومية ٠

الا أن الملاحظ كذلك هــو أن أغلب هــؤلاء المهاجرين كانوا من الشباب الطموح ولم تكن ظروف بلادنا بشكل عام محققة أو متفقة مع هذا الطموح ٠

ولهذه المناسبة استمعت للعديد من التعليقات شاكية ومعاتبة لوزير الصناعة عندما أصدر منذ أيام قائمة ضخمة لتشكيلات مجالس ادارة الشركات الصناعية وعددها ١١٧ شركة ، وقد قامت أجهزة الوزارة وأجهزة الامن باعداد هذه القوائم في بحر شهور طويلة وبعد مباحثات ومشاورات ومناورات ودراسات وتعثرات ٠٠ !

ان مثل هذه القوائم مصدر متاعب للوحدة الوطنية اذ أن وزير الصناعة بغير قصد قد أصدرها بشكل ادارى دون مراعاة للقواعد السياسية لحركة المجتمع ٠٠ اذ قال لى أحد المهاجرين الناجحين : ها أنت ترى أنه لا يوجد رئيس شركة واحدة من الاقباط ٠٠ فقلت له لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا ٠٠ ولكن بالسؤال اتضح أنه يوجد رئيض واحد لشركة واحدة صغيرة ٠

وأنا هنا لا أطالب اطلاقا بأن تكون المناصب موزعة بين الاقباط والمسلمين بأى نسبة بل أصر على أن الكفاءة وحدها هى المعيار ٠

أننى أضع هذه المشاعر على الورق دون رتوش لكى يصل صوت وطنى أمين الى قيادة مخلصة ووطنية لها أمنية أساسية صادقة نقدسها جميعا هى الوحدة الوطنية ٠

المقـال الثالث :

قانون واحـد لشعب واحـد

بقلم : سـامي داود

لا أدرى من سيرضى عن هـذا المقال ومن سيغضب منه .. فالموضوع الذى أتناوله فيه ، له جوانب قـد تبدو شـديدة الحساسية .. ولكن مجرد تعلقـه بوحـدتنا الوطنية الغاليـة ، يدفعنى الى الكتـابة فيـه ، حتى أن توقعت فى الطريق حقولا من الشوك . !

أكثر من هـذا ، فأنى لست على يقين تام من سلامة الرأى الذى أبديه ، ولكنـه خاطر خطر لى ، لعله تجسم فى ذهنى أكثر مما ينبغى .. ولعـل السبب فى ذلك أنى شديد الحساسية والاهتمام ، بأى شىء أتوقع أن يكون له أى أثر سلبى ـ ولو فى أدنى الحـدود ـ على وحدتنا الوطنية ، تراثنا الغالى الذى انفردت به مصر ، لا بين دول وشعوب المنطقة التى نعيش فيها فحسب ، بل على اتساع العالم بأسره ..

(*) جريدة الجمهورية فى ١٦ مايو ١٩٧٦ وكان مقال الوداع .

ولعل أمجد ما يذكره تاريخنا الوطني لثورة ١٩١٩ ، دورها البارز العظيم في تأكيد وتأصيل وحدتنا الوطنية، حتى لقد رأى المصريون ، ورأى معهم الاستعمار الذى كان يحاول شق هذه الوحدة ، رأوا رجال الدين المسيحيين يخطبون فى المساجد ورجال الدين المسلمين يخطبون فى الكنائس ·· وحتى لقد كان حزب الوفد يتعمد بعد اعلان الدستور ، وبدء المعارك الانتخابية ، أن يرشح فى مناطق الكثافة السكانية القبطية مرشحين من المسلمين ، وأن يرشح فى المناطق التى تقل فيها نسبة المسيحيين الى ما يقرب من الصفر ، مرشحين من المسيحيين ·· وكان بنفوذه يضمن نجاح الفريقين ، حتى لا يقال أن الاقباط أعطوا أصواتهم للمرشح القبطى ، أو أن المسلمين حجبوها عنه ·· وحتى لا يستثمر المستعمر خطأ واحدا ، قد يقع ، فينفخ فى ناره ليحوله الى فتنة ··

بل أن تاريخنا الوطنى يذكر أن فكرة التقسيم النسبى قد طرأت فى لجنة وضع الدستور ·· ضمانا لنصيب الاقلية من مقاعد المجالس النيابية ·· فكان الذين يدافعون عن هذه الفكرة من المسلمين ، وكان الاقباط هم الذين تصدوا لها ، وكان صوتهم العالى فى هذا التصدى ، هو صوت المرحوم عزيز (بك) ميرهم عضو

اللجنة المذكورة ·· وانتهى الامر الى نبذ الفكرة ، لأن وحدتنا الوطنية ، هى الضمان ··

ولقد عنيت ثورة ٢٣ يوليو بالوحدة الوطنية عناية بالغة ·· ولن ينسى أحد مساهمة الحكومة المصرية فى بناء الكاندرائية القبطية الكبرى ، ولا خطاب الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، فى يوم ارساء الحجر الاساسى لها ، ولا مشاركته مع قداسة البابا السابق فى ارساء هذا الحجر ، مما هو مدون عليه بحروف من المجد ··

وصحيح أن ثورة ٢٣ يوليو ، كانت تأبى المواجهة الصريحة لشطحات بعض العناصر ، التى كانت تنذر أحيانا بمواقف تتعارض مع تراثنا الخالد فى الوحدة الوطنية ، وأنها كانت تكتفى بالتشريع الذى يكفل تكافؤ الفرص بين المصريين جميعا ·

ولكن الرئيس السادات ، أبى أن ينهج هذا النهج ، خصوصا بعد ثورة التصحيح الديمقراطية العظيمة ·· فلم تكد محاولة اثارة الفتنة الطائفية تطل برأسها ، حتى واجهها مواجهة صريحة كعادته فى كل لقاءاته مع الشعب ، ومواجهاته لما يعن من أحداث ·· وكان أن أمر فورا ، بتشكيل لجنة تقصى الحقائق ، لتبحث جذور

الفتنة بحثا عميقا وكاملا ٠٠ وتقدم تقريرا صريحا ، متضمنا مقترحاتها للقضاء على كل ما يمكن أن يعرض وحدتنا الوطنية للخطر ٠

وهذا تاريخ طويل ممتد فى مصر ، منذ أقدم العصور ، وحتى وقتنا هذا ٠٠

ولكن ، لماذا كل هذه المقدمات ٠٠ هل هناك ــ لا قدر الله ــ جذور فتنة وطنية ، أو عمل متعمد يتعارض مع تراثنا الخالد فى الوحدة الوطنية ٠٠

لا شىء من هذا مطلقا ٠٠

ولكن هناك أحيانا ما يحدث ــ على التحقيق ــ بحسن نية ٠٠ ولكن التراكمات التى تتخلف عنه يمكن أن تكون ذات أثر فى المدى البعيد ٠٠

والمثل الذى أضربه اليوم ، والذى دفعنى الى كتابة هذا المقال ، يدل دلالة واضحة ، على أن المشرع الاسلامى المصرى ، يحاول جهده أن يؤكد حرصه الشديد على رعاية مشاعر المسيحيين ، وعدم مضايقتهم ٠

والموضوع متعلق بالدعوة الواضحة هذه الايام الى

تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتعـديل القــوانين على أساسها ، بما فى ذلك القانون الجنائى ، وذلك بتقرير اقامة الحـدود الاسلامية على السارق والزانى وشارب الخمر الى غير ذلك ٠٠

ففى صباح الثلاثاء المـاضى قرأت فى جريدة الاخبار تصريحات منسوبة الى وزير العـدل المستشار أحمـد سميح طلعت عن تطبيق الشريعة الاسلامية على المسلمين دون المسيحيين ٠٠

ونقلت جريدة الاخبار عن وزير العـدل قـوله :

« أن اللجنة المختصة بتطوير التشريعات بما يتسق مـع الشريعة الاسلامية تقوم بتعـديل القـوانين الان ، لتنتهى من هـذه المهمة قريبا ٠٠

وقال : أن تحريم شرب الخمر ، وقطع يد السارق مثــلا سـيطبقان على المسلمين دون المسيحيين ، لان المسيحيين ستطبق عليهم القوانين الوضعية » ٠

حسن النية واضح بغير شك فى هـذا الاتجـاه ٠٠ فقد يتأذى المسيحيون من اقامة هذه الحدود عليهم ٠٠ بل

أن كثيرا من المسلمين أنفسهم ، لهـــم آراء منشـــورة ومشهورة ، في هـذا الامر ، وفى الشروط الاجتماعية التى ينبغى تحقيقها قبل اقامة الحدود ٠٠ ولعل آخر ما ورد من هـــذا ، ما تضمنه حـــديث منشور فى أهرام الجمعة الماضى ، لفضيلة الاستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف وشئون الازهر ٠٠ جاء فيه أن هنـــاك خطـــوات ضرورية لابد منها ليصبح تطبيق الشريعة الاسلامية أمرا ممكنا ومن بين هذه الخطوات كما جاء فى حـديث فضيلته قـوله بالنسبة لحـد السرقة بضرورة « تهيئة الواقع الاجتماعي لتقبل هذا التطبيق من خلال قانون يضم نظام الزكاة ، وكفالة المجتمع لكل فرد عن طريق العمل أو المعـونة من بيت مال المسلمين » ٠٠

ومن بينها قول فضيلته « مع تطبيق حـد الزنا ، يجب اسقاط كل العوائق التى تحول بين الشباب وبين الزواج » ٠٠

ولست أحب أن أقحم نفسى ، ولا قلمى ، فى هـذه المناقشـــة ٠٠

ولكنى أكتب فى حـدود تصريح المستشار وزير العـدل ، بأن اقامة هـذه الحـدود ستقتصر على المسلمين

وحـدهم ـ أما المسيحيون فسيطبق عليهم القـــانون الوضـــعى ..

وأنـا افترض أن المناقشات انتهت إلى هذا الموقف ، وأن مجلس الشعب أصدر التشريعات المنتظرة على هذا الاساس .. وأتساءل ـ فقط ، وهذا ما يهمنى ـ على أثر هـذا على وحـدتنا الوطنية ..

أيصبح فى البلد قانونـان ، واحـد للمسلمين وواحـد للمسيحيين ؟ !!

نحن شعب واحـد ، ويجب أن يطبق علينا قانون واحـد ، ما دام هـــذا القـــانون ، سيصدر من مجلس الشعب ، سلطتنا التشريعية المنتخبة ..

هـذا ما أعتقده ، مهما كان الرأى الفردى ، أو حتى الطائفى ، فى اقامة هذه الحدود .. فمصر تأتى أولا .. ووحـدتنا الوطنية تأتى أولا ..

وأتى لاتساءل : بأى ضمير قضائى سيحكم القاضى « المسلم » على السارق المسلم باقامة الحـد الاســلامى الذى يقضى بقطع يده .. ثم يحكم فى اليوم التالى ،

على سارق مسيحى بالسجن بضعة أشهر أو بضـــع ســـنوات !

وكيف سيتقبل النـــاس هذا الوضع ، وماذا يمكن أن يكون له من آثار !!

وعلى سبيل المثال ، أن ما يتضمنه القانون المدنى المصرى ، من مواد تستند الى الشريعة الاســـلامية ـ وأهمها وأخطرها على علاقات الاسر والافراد ، قانون المواريث مثلا .. أنه يطبق على الجميع ، فهل شـــكا أحـــد من ذلك ؟ .. فلماذا فى النواحى الجنائية يصبح لنا قانونان .. وكأننا شعبان ؟ !!

هذه أسئلة أثيرها ـ وأنا أطالب بوحـــدة التشريع أيا كان .. مــــــع اعترافى بأنى لا أستطيع أن أجزم بسلامة ما أطالب به ، وأكاد أطالب ، بل أرجو أن يردنى من يستطيع أن يجزم ، أو أن يوجهنى بالرأى المقنـــع الى الصـــواب .

فى سبيل مصر ، ووحـــدة شعبها الوطنية ، كتبت ما أكتب ، وليغفر لى من يرانى أخطأت .. وليجنبنا الله جميعا مسالك الخطأ وليرشدنا الى طريق الصواب ..

المقـال الرابع :

المقـال بعـد الأخير لسامى داود ..

فى سـبيل مصر ووحـدة شعبها

فى مقاله الاسبوعى يوم الاحـد ١٦ مايو كتب سامى داود مقالا وطنيا بعنوان « قانون واحـد لشعب واحـد » يدعو فيه وزير العدل الى مراجعة تصريحه :

« أن تحريم شرب الخمور وقطع يد السارق مثـلا سيطبقان على المسلمين دون المسيحيين ، لان المسيحيين ستطبق عليهم القـوانين الوضعية !! » .

على أسلاك الهاتف تبادلت الحديث ـ حديثى الاخير ـ مع سامى داود ممتدحا شجاعته ومنهجه فى هـذا المقال فأخبرنى « بأنه كتب المقال ودرجـة حرارته ٣٩ درجـة وأمامه أنواع وأنواع من المضادات الحيوية ولكننى لم أتمكن من أن أقاوم كتابة المقال .. وسأكتب المقـال الثانى بمجرد أن تعـود حرارتى الى وضـعها الطبيـعى » .

(*) جريدة الجمهورية فى ٣٠ مايو ١٩٧٦ .

ولم يكن سامى داود يدرى أن قضاء الله قـد حـل ولا راد لقضائه ·· كنت واحـدا من قراء سـامى داود لسنوات طويلة ، أتابع عن كثب اراءه الصريحة ولكننى للصدق والامانة لم أكن أعرف أنه قبطى المولد ·· فقد كانت كتاباته وحتى أسمه رمزا للوحدة الوطنية فى كل أبعـــادها ·

ترى ماذا كنت يا سـامى تريد أن تكتب استمرارا لمقـالك الذى بدأته قائلا :

« لا أدرى من سيرضى عن هـذا المقال ومن سيغضب منه ·· فالموضوع الذى أتناوله فيه ، له جـوانب قـد تبـدو شديدة الحساسية ·· ولكن مجرد تعلقه بوحدتنا الوطنية يدفعنى الى الكتابة فيه ، حتى أن توقعت فى الطريق حقولا من الشوك » ·

ويصيح سامى « أيصبح فى البلـد قانونان ، واحد للمسلمين وواحـد للمسيحيين ·· !! » ويعبر سـامى داود عن وصيته الاخيرة « نحن شـعب واحـد ويجب أن يطبق علينا قانون واحـد » ·

ومن هذا المنطلق ، استمر رافعا نفس القلم ، سائرا على نهج سامى داود ، وان لم تكن لى نفس قـدراته

وتحكمه فى قلمه واختياره الدقيق للكلمة المعبرة فى موضوع « شديد الحساسية » ٠

ولعل القضية كلها تبدأ من مبدأ تطبيق الشريعة الاسلامية لتكون هذه الشريعة الثورية العقلانية مطبقه فى حياتنا اليومية ٠٠ وأنا أزعم أنها مطبقة وسائدة فى حياتنا اليومية فعلا ومن مئات السنين وقبلها ويقبلها الشعب المصرى كله فى حياته اليومية حتى أصبحت نسيجا متكاملا من حياتنا اليومية ٠

أن قوانين الميراث وحق الذكر « كنصيب الانثيين مسائل سائدة ويقبلها المصريون جميعا دون نزاع ٠٠ القوانين التى تحكم البيع والشراء والملكية والتجارة وغيرها فى كثير من مفاهيمها ومضامينها من مبادىء التشريع الاسلامى ٠٠ وكلها مستقره فى ضمير الناس ٠ شهادة الشهود ٠٠ الامانة والذمة ٠٠ وحق الكيل والميزان ٠٠ والعدالة بين الناس ٠٠ كلها مبادىء وقيم ترسخت فى أعماق الريف المصرى وصارت مقبولة ٠٠ وتكون جزءا أساسيا من البعد الحضارى الذى يعتز به كل مصرى ٠

ولكن عندما تعبر العلاقات الانسانية الى مسائل شخصية نرى أن كل مصرى قد احترم طواعية واختيارا

رغبة أخيه فى تصرفاته الشخصية •• بل قد يمتدح كل طرف ما للطرف الآخر من تقاليد •

فالمسلم يحيى المسيحى فى استقرار العائلة ويقول « أنها زيجة نصارى » •• أى أنه عقد أبدى غير قابل للفك •• وعندما يشكو القبطى متضجرا من زوجته اللحوحة فيصبح مازحا : « لو كنت مسلمه لتزوجت عليك حتى لا تتحكمى وتتآمرى •• » •

كل يقبل « الاحوال الشخصية » للاخر فى بساطة ومودده •

ومن هنا أؤكد أن مبادىء الشريعة الاسلامية سائدة فعلا وتعودها الشعب المصرى أما الدخول فى المسائل الشخصية فقد يثير من الحساسيات ما يؤثر على الوحدة الوطنية والتى نقدسها جميعا •

ولا يسعنى الا أن أستعيد نفس كلمات الكاتب القدير سامى داود والتى أنهى بها مقاله الاخير فاكرر ما كتبه :

« فى سبيل مصر ووحدة شعبها الوطنية ، كتبت ما كتبت ليغفر لى من يرانى أخطأت ليجنبنا الله جميعا مسالك الخطأ ويرشدنا الى طريق الصواب » •

الجزء الثـــانى

موقـع أقبـــاط مصر على الساحة السياسية

نظرة تاريخيـــة مستقبلية

عندما كنت وكيلا لنقـــابة المهندسين المصريين فى أوائل السبعينيات ، أقر مجلس النقابة تمويل مشروع تعاونى لانشاء مدافن لاعضاء النقابة المسلمين فى صحراء مدينة نصر على مشارف القاهرة ، وذلك بشروط • وبعد مدة تقدم لفيف من أعضاء النقابة المسيحيين بطلب أن يقوم المجلس بتقديم نفس الخـــدمة لهم بانشاء مدافن للمهندسين المسيحيين •

ووجـــدت النقيب وأعضاء المجلس يتوجهون بالنظر الى ، كما لو كانوا يستنجدون بى للوصول الى وســـيلة ناعمة للخروج من هــذا « المطب » فخطر لى أن أفجـــر قضية كانت تشغلنى فقلت : لمـــاذا هـــذه التفرقة مدافن للمهندسين المسيحيين فى جهة ومدافن أخرى للمهندسين المسلمين فى موقع آخر ، لمـــاذا لا تتسع أرض المشروع الاول لاستخدامات المهندسين جميعا أقباطا ومسلمين •

وبسرعة شديدة انتشرت بين أعضاء النقابة هـــذه الآراء واثارت ضجة ضخمة كما لو كنت ألقيت قنبـــلة وانقسم الاعضاء بين مؤيد ومعارض ولكن ما إدهشنى هو

أن الاحتجاج لم يكن قاصرا على المسلمين بل أعترض المسيحيون وقاوموا فكرة أن يدفنوا بجوار أخـوانهم المسلمين وقـدم المعترضون من الجانبين أسانيد وحجج شـتى .

وبمنطـق المدافـع عن النفس ناقشت المعترضين : ألسنا متجاورين فى السكن والعمل والحياة لقد ساهمت النقابة فى انشاء أشهر أحيـاء القـاهرة والذى يعرف بمدينة المهندسين حيث بيوتنا متلاصقة وفى العمـل نجلس حـول منضـدة واحـدة للمشاورة والنقـاش الهندسى والعلمى،وفى نادى المهندسين يلعب أولادنا دون تفرقة ... عاداتنا وقيمنا واحدة فاذا كنا هكذا متداخلين فى الحياة الدنيا فمـا هى الاعتراضات لكى لا نتجـاوز بعـد الحياة .

ومـع همهمات الاعتراض الظـاهرة والخفية من الجانبين أيقنت أن تمنياتى قـد طرحت على بسـاط البحث سابقة عن أوانها بمـا أتصوره قرن من الزمان ، ومن ثم أدركت كذلك أنه رغم كل مظاهر الوحـدة والالفة بين الاقباط والمسلمين فى مصر الا أن هناك غلالة رقيقة تعزل بينهما يمكن فى أوقات الازمات أن تتحول الى صراع ظـاهر ومن المؤكد أن هـذه الفروق فى أوقات الاسترخاء تبدو هذه الغلالة وكأنها غشاء هفهاف ومن الحرير قـد لاتراها ولكنها موجودة على أى حال ..

هـذه واقعـة ...

أما الواقعة الاخرى فتكاد تكون قصة معادة تتكرر كل يوم دون أن تسجل على ورق ··· صديق مصرى قبطى على جانب من الثراء ، عمل لفترة طويلة وكيلا لوزارة هامة ، جاءنى يأخذ مشورتى لان ابنه المهندس الشاب قد وقع فى غرام زميلة له على جانب كبير من الجمال والثراء معا ، والشابان يرغبان فى الزواج ويهددان ويصران ، وتساءلت ما المانع ·· قال الم أقل لك أنها أبنة الموسيقار المعروف ··· قلت هو رجل مرموق ولابد أن ابنته كذلك فصرخ وكيف يتزوج ابنى القبطى من زميلة مسلمة ، لان المصيبة أن قوانين الاحوال الشخصية تلزم الشاب على تغيير دينه فى هذه الحالة ··· أن ذلك سيكون عملا يشين العائلة ويمس سمعتها ويعطل زواج بناتها والعجيب فى الامر هو أن الاسرتين فى اندماج وتشابه وربما فى تطابق حضارى وفكرى اذ هم جميعا متأثرين بمظاهر الحضارة الغربية ممثلة فى حرية الاختلاط وحفلات الرقص وكافة العلاقات الاجتماعية والثقافية تتفق مع تقارب المستوى الاقتصادى ··· ولكن الصداقة والتداخل والتقارب شيء والدخول فى علاقات زواج ومصاهرة شيء آخر .

وفرضت التقاليد على أن يفرق بين قلبى الشابة والشاب ، وبسرعة سعى كل من الاسرتين على زواج

الطرفين زواجا تقليدا ممن يحمل دين مماثل حتى وان أختلفا فكريا وحضاريا وأيقنت عندئذ أن موضوع العلاقة بين المسلمين والاقباط قد يحتاج الى القاء بعض الاضواء عليه ومن ثم عكفت عن تمحيص وبحث أوراق القضية ، لعلنا قادرون من التاريخ والماضى استقراء ما قد يحدث في المستقبل .

من هم أقباط مصر :

كلمة « أقباط » ومفردها « قبط » هى فيما يقال تطوير متدرج عبر قرون للفظ مصرى فرعونى هو « هاكا بتاح » وهو ما كانت تعرف به مصر قديما والكلمة مكونة من مقطعين تعنى الاولى « المعبد » أو الارض أو المكان ويعنى المقطع الثانى « الروح » أو الاله « بتاح » .

وظل المصريون القدماء ينطقونها هكذا الى أن جاء الاغريق بما يتناسب مع الحروف اليونانية ثم أضافوا اليها ما يناسب قواعد اللغة الجديدة فتحورت الكلمة وأصبحت مصر تعرف باللغة اليونانية بلفظ «اهيجتوس» وهى الكلمة التى أشتق منها لفظ « ايجبت » EGYPT وهو اسم مصر فى كل اللغات اللاتينية والاوروبية .

مع دخول اللغة العربية الى مصر تحورت الجيم الى قاف فأصبحت « ايقبط » ثم بسطت فصارت « قبط » ثم أدخلت تحت مطرقة القواعد اللغوية فجمعت « أقباط » .

وأقباط مصر الآن هم من احتفظوا بعقيدتهم المسيحية وتمسكوا بها منذ القرن الاول الميلادى حيث كانت مصر من أوائل البلاد التى بشرت بالمسيحية ، وحيث وجدت الديانة الجديدة قبولا من المصريين فقد كان التثليث الفرعونى « أوزريس وايزيس وحورس » تمهيدا لقبولهم التثليث للمسيحى ثم مزج المصريون العقيدة الجدبدة مع التراث القديم فبلورت تعاليم المسيحية فى اطـــار فلسفى دقيــق حتى صــارت جامعة الاسكندرية مصدر الفكر المسيحى ومكان الحوار العقائدى الى أن كان مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية ، فأصرت مصر على رأيها من أن للمسيح طبيعة وارادة واحدة وازاء هذا التمسك سمت نفسها بالارثوذكسية أى المستقيمة الرأى الثابت دون تغيير وظلت حاملة هذه اللقب « الارثوذكسى » حتى الآن وهو المذهب الذى ينتمى اليه بالفعل الغالبية العظمى من أقباط مصر .

وداخل الاقلية القبطية توجد أقليات أصغر تنتمى الى المذهب الكاثوليكى ومن ثم فان ارتباطهم وقيــادتهم

للدينية تتدرج حتى المستوى الاعلى عند بابا روما فى الفاتيكان ويقال أن منشأهم فى مصر يعـود الى زمن دخول الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر ، هـذا وقـد اجتذب نشاط الأب عيروط من الجزويت بعض فقراء الاقباط الى المذهب الكاثوليكى مع مطلع هـذا القرن وذلك فى منطقة طهطا بالصعيد حيث أنجز خـدمات صحية وتعليمية باقية ومتميزة فى مجـال الفلاحين وفقراء القـرى ولذلك فانك تلمس بصـمات الحضارة الفرنسية على تلك الفئة من الاقباط الكاثوليك حتى فى اللكنة التى يتحدثون بها اللغة العربية ويرأس الاقبـاط الكاثوليك الآن رجـل كبير السن والمقـام كان أبوه سيزوستريس سيداروس باشا من رجال القصر أيام الملك فاروق وقد فضل ابنه دراسات اللاهوت عنـدما أرسـله أيام الشباب الى الخـارج وتدرج فى سلم الاكليروس حتى أصبح الانبـا اسطفانوس بطريرك الاقباط الكاثوليك يحمل لقب كاردنيال وهو أعلى المراتب فى سلم الفاتيكان لا يعلوه الا بابا روما ذاته .

وللاقباط الكاثوليك أملاك وكنائس طائلة على طول البـلاد وعرضها خصوصا بعـد أن غـادرت الارساليات الكاثوليكية مصر ووهبت كنائسها ومدارسها وثرواتها الى الاقباط الكاثوليك .

ويوجـد عـدد محـدود من الاقباط الذين ينتمون الى المذهب البروتستانتى والمعروف بالانجيليين وأغلب هؤلاء كذلك قـد تركوا المذهـب الارثوذكسى وتحـولوا الى البروتستانتية عن طريق نشاط الارساليات البريطانية والامريكية خلال القرن التاسع عشر والجزء الاول فى هذا القرن ، ولهم تواجـد محـدود فى القاهرة والاسكندرية وأسيوط • وتلمس حتى الآن بصمات العادات الانجليزية والامريكية على هـذه المجموعات البسيطة من الاقبـاط البروتستانت ولهم مجمـع ينظم شـئونهم ويسمى بالسنودس •

على أن الامر الجدير بالتسجيل هنا هو أن مجهودات هـذه الارسـاليات الاجنبية سـواء كانت فرنسية كاثوليكية أو بروتسانتية أمريكية لم تصل الى غايتها لا فى مجال المسلمين أو بين الاقباط الارثوذكس ، رغم تركيزهم الشـديد فى تقـديم الخـدمات الاجتمـاعية المعتادة من مدارس ومستوصفات ومستشفيات وكافـة الوسائل التى تمرسوها وأتت ثمارها لهم مع القبائل البـدائية فى أفريقيا أو فى بعض مناطق الهنـد أو فى الشرق الاقصى أبان القرن التاسع عشر وأوائل هـذا القـرن •

ولعل ظاهرة استمرار تواجـد المسيحية فى مصر

رغم توالى الاضطهاد الذى تعرضوا له بدرجات متفاوته عبر تسعة عشر قرنا من الزمان ، يعود ضمن أسباب كثيرة الى اعتزاز أقباط مصر بأن الديانة المسيحية قد وصلت اليهم من خلال القديس مرقص ذاته والذى كان من بين سبعين تلميذا من خاصة وحوارى المسيح مباشرة، وفوق ذلك فالقديس مرقص هو كاتب أحد الاناجيل الاربعة التى تقدم تعاليم المسيح فى العهد الجديد ومن ثم فأصالتهم وعقيدتهم المسيحية قديمة وأصيلة قدم العهد المسيحى الاول وقبل أن تدخل المسيحية أغلب بلدان أوروبا باستثناء بلدان البحر الابيض المتوسط مثل بلاد اليونان وايطاليا حيث دخلتها المسيحية فى نفس الحقبة الزمنية .

ولذلك فان القبطى يعرف أن كنيسته التى ينتمى اليها من أقدم التجمعات المسيحية فى العالم أن لم تكن أقدمها بالفعل وتقف على نفس المستوى التاريخى مع كنيسة روما حيث البابا الكاثوليكى الذى يتزعم مئات الملايين .

ويعرف كل قبطي أيضا فكرة التبتل ونذر النفس فيما يعرف بالرهبنة والديرية هى فى الاساس فكرة مصرية بدأها مجموعة متوحدين مصريين ولعل أشهرهم

هو راهب قبطى يدعى الانبا أنطونيوس اذ هو الذى وضع القوانين الاولى للرهبنة فى القرن الثالث ومنها انتشرت وتطورت الى كافة أنحاء العالم حتى صارت أسماء الرهبان الاوائل الاقباط منتشرة فى العالم المسيحى كله .

ولا يعود التاريخ اضطهاد المسيحيين فى مصر الى عهود العثمانيين فحسب وانما يمتد عبر التاريخ الى القرون الاولى ابتداء من حملات الاضطهاد التى شنتها الامبراطورية الرومانية الوثنية والتى اعتبرت هذه الديانة الجديدة كما لو كانت حركة ثورية لتحرير العبيد فقاومها نيرون وبلغت ذروتها أيام ديوقليديانوس (٢٤٥ ـ ٣١٣ م) والذى حصر الى مصر على رأس حملة للتنكيل بمسيحى مصر باعتبارهم « رأس الحية » لهذه الثورة التى استهوت الملايين حتى صارت المذابح والاستشهاد عملا عاديا فاتخذ الاقباط من هذا التاريخ (٢٩ أغسطس عام ٢٨٤ م) بداية لتقويمهم والذى ما زال سائدا فى مصر حتى الآن ، ويعرف « بتقويم الشهداء » ولكنهم ربطوا هذا التقويم بالشهور المصرية الفرعونية القديمة وكل أشهرها ثلاثون يوما ثم يأتى شهر قصير يعرف بأيام النسى وهو خمسة أيام فى السنة البسيطة وستة أيام فى السنة الكبيسة لتكون

السنة شمسية كما هـو معروف ، وهذا التقويم قـد نقل فيما بعـد عن طريق أقباط مصر الى أثيوبيا والتى ظلت جزءا من الكنيسة فى مصر حتى عام ١٩٥١ .

ولا زال الاقباط مستخدمين أحيانا اللغة القبطية فى صلواتهم بالكنائس حتى الآن ويوجـد بعض المتطرفين الذين ينادون باحياء هذه اللغة واستخدامها بين الاقباط ولكن هذه الدعوة لم تخرج الى حـيز الانتشار واقتصر استخدام اللغة على الطقـوس الدينية والدراسات فى المعهد العالى للدراسات القبطية والكليات اللاهوتية .

على أن تمسك الاقباط بدينهم ليس تراث وتاريخ قد تجمد وانتهى ولكن هذه الطقوس والقداسات والاعياد والتقاليد ما زالت مستمرة ومتواجدة وحية بل ومتجددة أيضا أكثر من أى وقت مضى فيما عـدا العصور الاولى ، فالاديرة فى عمق الصحروات ليست آثارا للمـاضى بل هى حية ومليئة بالرهبان وبل لعلها نشطت فى السنوات العشرين الاخيرة فبعد أن كان المتحمسون للانخراط فى سلك الرهبنة هم قلة غير متعلمة حتى الاربعينيات من هذا القرن ، اذ بحركة مدارس الاحـد التى بدأت بين الشباب فى أوائل الثلاثينيات تقنع بعض المثقفين من خريجى الجامعة لان يتركوا وظائفهم وعائلاتهم « وكل

امور هذا العالم الفانى » لكى ينذروا أنفسهم لخدمة الرب والكنيسة وعاشوا بالفعل حياة التقشف فى الادبرة كرهبان الى أن اختيروا فى مواقع قيادية بأن أصبحوا أساقفة حتى صار منهم أول بطريرك وقد حصل فى الاصل على ليسانس من كلية الآداب بالجامعة المصرية بالقاهرة ألا وهو الانبا شنودة الثالث (باب وبطريرك الكنيسة) وكان يعمل قبل الرطبانية كمدرس للغة العربية والفلسفة فى التعليم الثانوى حتى أوائل الخمسينيات باسم « نظير جيد » ومنهم الانبا صموئيل (أسقف الخدمات وبمثابة وزير خارجية الكنيسة) وكان محاميا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث سافر كراهب لدراسة الماجستير فى أمريكا ، وكذلك الانبا أغريغوريس (أسقف البحث العلمى ومن خيرة علماء اللاهوت) وكان دارسا للفلسفة وحصل على الدكتوراه من جامعة مانشستر فى انجلترا تحت اسم وهيب عطا الله وقد صار الآن من الشخصيات المرموقة على الساحة الدولية فى عالم المسيحية والكنائس والدراسات اللاهوتية .

ويذكر هذا الجيل مناسبة قبطية هامة احتفل بها كافة أبناء مصر يوم أن قام الرئيس جمال عبد الناصر بافتتاح الكاتدرائية الكبرى للاقباط بمنطقة الانبا رويس

بالعباسية فى القاهرة وذلك بمناسبة نقل رفات القديس مرقص من مدينة البندقية بايطاليا الى هذه الكنيسة الجديدة بالقاهرة ، وكان كل ذلك لمناسبة مضى تسعة عشر قرنا على استشهاده فى الاسكندرية عام ٦٨ ميلادية وحضر الحفل رؤساء وملوك ومندوبون من كافة أنحاء العالم .

خواص أنتروبولوجية واجتماعية :

فيما عدا قضية العد والتعداد ، لا توجد احصاءات دقيقة منشورة توضح بالارقام التركيب الاجتماعي والاقتصادى والوظيفى للاقباط ، ولكن المتابع لحركة المجتمع المصرى ككل لا يستطيع أن يحدد خواص بعينها يختلف فيها القبطى المصرى عن المسلم المصرى فكل منها يحمل نفس الشكل والمظهر والعادات واللغة والتكوين النفسى ، ويحمل الاقباط كجزء أصيل من التركيب الوطنى ، كل الخصائص والسمات الحضارية للشعب المصرى فهم يتسمون بالطيبة والبساطة والبعد عن العنف وتحمل الصعاب بصبر حميد ولعل القسوة مع النفس والتى اكتسبها الاقباط من تقاليد الرهبنة والزهد ثم من الصيامات الطويلة المضنية والتى تتجاوز مائتان يوما كل عام وتقاليد الاسرة المتكاتفة ، لعل كل ذلك هو

الذى أكسبهم هذه الطاقة الضخمة من التحمل والاناة وضبط النفس والصبر على الضيم بروح راضية مستبشرة وأعتقد أن هذه الصفات قد أخذت طابعا قوميا وانتشرت بين أبناء وادى النيل مسلمية وأقباطه على السواء ، والاقباط شأنهم كافة المصريين يحملون مظاهر ومقومات الحضارات المستقرة التى نمت مع الزراعة فى الوديان المنبسطة حيث الولاء للحكومة والحاكم الذى يملك مفاتيح الحياة ممثلة فى مياه وجريان نهر النيل العظيم ، اذ هو علاوة على كونه شريان تدفق المياه التى يعطى الحياة للزرع ، وهو أيضا شريان الامن والامان الذى يسلكه جند الحاكم فيصل الى أصغر النجوع فى الوادى .

وينتشر الاقباط فى مصر انتشار الماء والهواء فهم متواجدون جنبا الى جنب مع أشقائهم المسلمين فى كل مكان وموقع ــ فى المدينة كما فى أعماق الريف ــ (وان كان تواجدهم فى المدن أكثر) أنظر جدول رقم ١ وفى الوجه القبلى كما فى الوجه البحرى (وان كان تركيزهم فى بعض محافظات الوجه القبلى كالمنيا وأسيوط أكثر وضوحا) ... ويمثلون كل أنواع التعليم والثقافة فمنهم من يحصل على أعلى الدرجات ومنهم الامى ــ وان كانت نسبة الامية بينهم أقل لتركيزهم على العلم والتعليم

شأن أى أقليات ـ ويوجد بينهم الثرى والاقطاعى والرأسمالى كما يوجد منهم الفقير المعدم ـ وان كان المستوى الاقتصادى أكثر ارتفاعا بشكل عام ، رغم أنهم لا يحتلون مواقع القمم الاقتصادية ، ولذلك فهم يمثلون ثقلا واضحا فى الطبقة المتوسطة وبين المثقفين يفوق بكثير ثقلهم العددى ومن ثم فان تواجدهم وأثرهم ملموس وواضح فيما يسمى البرجوازية الوطنية والمثقفين والمهنيين ومن ثم أهميتهم ووزنهم السياسى والاجتماعى :

- منهم العامل والفلاح وحرفى وان كانوا عبر التاريخ يميلون الى اتقان حرف بعينها أكثر من حرف أخرى فحتى سنوات ليست بالبعيدة كانوا أغلبية فى حرف مثل صياغة الذهب والفضة وأعمال الصيارفة ومسك الحسابات والاموال .

- ومنهم بعض رجال الاعمال فى عالم التجارة وكذلك فى سائر تخصصات المهنيين وأن كانوا يميلون الى النشاط فى أعمال التجارة فى أحجامها المتوسطة والصغيرة فى المدن والريف أما فى ميدان المهن المختلفة ربما كانوا أكثر اتجاها الى ميدان الطب والصيدلة وربما الهندسة لانهم كأقلية يتجهون

الى اتقان الحرف والمهن والمجالات التى يتواجد فيها الاستقلال الاقتصادى فى العمل الخاص ولعل منشأ ذلك هو عدم ثقتهم فى امكانية الترقى الى أعلى الوظائف فى الحكومة فيؤثرون العمل الحر أو الفردى حيث مصيرهم بأيديهم ومن هنا كان الرأى الذى ينادى بأن فئات كثيرة منهم لا تميل الى الفكرة الاشتراكية وان كان هناك رأى مقابل يدعو بأنهم كأقلية لابد أن يكونوا من حلفاء العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص .

- ومنهم موظفوا الحكومة فى كافة الدرجات وعلى طول السلم الوظيفى ، فمنهم موظفى المحفوظات والارشيف فى قاع السلم ومنهم كذلك وكلاء الوزراء والقيادات فى كل المواقع وان كانوا يشكون من أن نسبة من يحصل منهم على الوظائف العليا لا تتناسب مع جملة عددهم فى وظائف الدولة أو فى كل من هذه التخصصات على حدة ، ومن الامثلة الصارخة أنه لا يوجد منهم وكيل وزارة واحد فى وزارة الصحة حيث يمثل الاقباط ما يقرب من نصف عدد الاطباء ولعل هذا الاحساس هو الذى أدي الى هجرة عشرات

الالوف منهم الى الخارج وبالذات الى الولايات المتحدة وكندا أو الى استراليا حتى تكونت منهم جاليات مصرية قوية فى أقطار كثيرة غالبيتها من الاقباط ولذلك أثره الاجتماعى والسياسى كما سيأتى ذكره بعد .

● ومنهم الخير والشرير وان كان احساسهم كأقلية متميزة يدعوهم الى البعد عن مصدر المتاعب ولذلك فنسبتهم فى الجريمة والانحراف أقل بشكل واضح ، فقد تعلموا من الجدود بأن « السلطان من لا يعرف للسلطان » وأن « من يمشى دوغرى يحتار عدوه فيه » وكافة الامثال الشعبية التى ترسخت فى وجدان المصريين جميعا ومنهم أقباط مصر .

● ولديهم مشاكل الاحوال الشخصية والعلاقات المتشابكة والمعقدة داخل الاسرة وما يمكن أن ينشأ من خلافات الزوج والزوجة كأى شعب فى العالم ، ولكن التزامهم بالتراث المسيحى فيما يتعلق بالزوجة الواحدة وتحريم الطلاق (الا فى ظروف نادرة) كل ذلك قد أعطى الاسرة الاستقرار فيتمسك الرجل بزوجته مدى العمر وتفانت

المرأة فى تنمية اقتصاديا تت الاسرة والمحافظة على أولادها ، ولذلك فان معدلات الانجاب أقل واشتهر عنهم البعد عن البذخ وربما كانت هناك نوادر على البخل أو الشح بالنسبة للاهالى فى محافظة أسيوط بالذات وأصبح وضع «الاسايطة» أى أهالى أسيوط يناظر مكانة الاسكتلنديين فى بريطانيا من هذه الناحية .

خلاصة القول اذن أن الاقباط نسيج متداخل وجزء أصيل وأساسى من شعب مصر حتى أن بعضهم يستفز عندما تناقش مشكلتهم باعتبارهم « أقلية » ويصعب الاشارة اليهم « كطائفة » ولذا فقد ابتكر الوفد مصطلح « وحدة عنصرى الامة » ويؤكد ذلك أن ليس للاقباط خواص أنتروبولوجية تحدد ملامحهم الجسدية والفيزائية ولا يمكن النظر اليهم على أنهم تجمع فى موقع جغرافى بذاته مثل الاكراد فى العراق أو الارمن فى تركيا أو التركستان فى ايران فهم متواجدون فى كل قرية ومدينة وتجمع ، ولاهم فئة قد اقتصرت على مهنة معينة كمجال التجارة والاعلام مثل اليهود فى أمريكا ومن ثم فانهم بالفعل أقلية متميزة لا يمكن أن توضع مشكلتهم على قياس أقليات أخرى مثل الارمن فى تركيا

أو المنبوذين فى الهند أو الزنوج أو البيض فى جنوب أفريقيا فالاقباط متواجدون فى كل مجال دون استثناء وفى كل موقـــع دون تمييز وعلى كافـــة المستويات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن هنـــا فان مشاكلهم كأقليـــة تعتبر من أخف المشاكل فى المنطقة أو فى العـــالم ومن ثم فأن اثارة النزاعات والصراعات الدينية فى مصر من غير المحتمل أن تأخـذ صورة ما حـدث فى لبنان رغم ما هـو معروف من وجـود محاولات عـديدة لذلك ، ولكن رغم كل هـذا فان هنـــاك بعض التفرد الذى ولـد ويولـد باستمرار احساسهم كأقلية لها مشاكلها ولعل أول هـذه المشاكل التى اثارت حـوارا فى الاونة هـو ما أغضب الاقبـاط حـول حقيقة عـددهم ونسبة ذلك الى التعداد الكلى لشـعب مصر .

تعـداد أقبـاط مصر :

من غير المعروف على وجـه القطع عـدد الاقباط فى مصر الآن اذ أن البيانات حول هـذه المعلومة مثار جدل وخـلاف حتى بين الاقبـاط أنفسهم ، فبعض قياداتهم المتشددة تزعم أنهم قاربوا ثمانية ملايين ويؤكدون هذه المعلومة فى ضوء ما تناقلته الاخبار من أن الرئيس كارتر

كان قـد ذكر هـذا الرقم وهو يحيى الانبا شنودة الثالث بطريرك الاقباط عند زيارته له فى البيت الابيض عام ١٩٧٧ وبحضور الدكتور أشرف غربال سـفير مصر فى أمريكا ٠

على أن المعتدلين منهم يقدرون عدد الاقباط بأنه رقم يقترب من خمسة ملايين نسمة أى ما يقرب من ثمن تعداد شـعب مصر والذى وصل الى ٤٠ مليون نسمة خلال عام ١٩٧٨ ، ولذلك فان قيادات الاقباط ممثلة فى المجلس الملى وهـو مجلس طـائفى من العلمانيين ـ يتدارس ويدير شئون الاقباط برئاسة البطريرك ـ كانت هذه القيادات قد احتجت بالفعل وطالبت مقابلة السيد ممدوح سالم يوم أن كان رئيس للوزراء ولكن تستوضح الامر عندما أذاع الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء البيانات التى توصـل اليها نتيجة التعداد الشامل للسكان والتى تم حصره فى نوفمبر عام ١٩٧٦ فقد أعلن هـذا الجهاز ضمن ما أعلنه أن تعـداد الاقباط يصل الى حوالى ٣ر٢ مليون نسمة ووفق ما نشر من بيانات فان تعداد الاقباط لا يتجاوز ربع مليون نسمة فى محافظات الوجه البحرى التسعة من بين تعـداد كلى يتقارب من ١٦ مليون نسمة أى بنسبة ما يزيد قليلا عن ٥ر١٪ وقـد استفزت هذه الارقام جمهور الاقباط عموما ولا تجـد من يقبلها منهم ٠ ٠ ٠

جـدول رقم ١

تعـداد سـكان مصر فى المحافظـات المختلفة

وفـــق الديانات

من نتائج تعـداد نوفمبر ١٩٧٦

المحافظـــة	مسلمون	مسيحيون
القـــاهرة	٤٥٦٧٤٦٧	٤١٥٩٩٠
الأســكندرية	٢١٦١٩١٦	١٥٦٣٦٩
بور سـعيد	٢٥١٣٣٢	١١١٤١
السـويس	١٨٥٣٣٤	٨٤٧٠
جملة المحافظات الحضرية	٧١٦٦٠٤٩	٦٩٠٩٧٠
دميـــاط	٥٥٥٧١٣	١٤٠٢
الدقهليـــة	٢٧٠١٥٦٢	٣١١٩٤
الشرقيـة	٢٥٨٤٩٦٥	٣٦٢٤١
القليـــوبية	١٦٢٧٧٦٥	٤٦٢٣٧
كفـر الشـــيخ	١٣٩٤٠٢٨	٩٤٤٠
الغربيـــة	٢٢٥١٠٩٨	٤٣١٨٦
المنوفيـــة	١٦٧٧١٢٦	٣٣٨٣٠
البحـــيرة	٢٥٠٧٧٢٦	٣٧٥١٠
الاسماعيليـــة	٣٤١٩٨٨	٩٧٩٥
جملة محافظات الوجه البحرى	١٥٦٤١٩٧١	٢٤٨٨٣٥

ديانات اخـرى	جمـلة	النسبة المئـوية للاقبـاط الى الجمـلة
٢٠٠٦	٥٠٨٤٤٦٣	٢ ر١٠٪
٣٧٠	٢٣١٨٦٥٥	٧ ر٦
١٤٧	٢٦٢٦٢٠	٢ ر٤
١٩٧	١٩٤٠٠١	٣ ر٤
٢٧٢٠	٧٨٥٩٧٣٩	٨ ر٨ ٪
—	٥٥٧١١٥	٥ ر٢
—	٢٧٣٢٧٥٦	١ ر١
٢	٣٦٢١٢٠٨	٤ ر١
٤	١٦٧٤٠٠٦	٨ ر٢
—	١٤٠٣٤٦٨	٧ ر١
١٩	٢٢٩٤٣٠٣	٩ ر١
٢٦	١٧١٠٩٨٢	٠ ر٢
١٠	٢٥٤٥٢٤٦	٥ ر١
١٠٦	٣٥١٨٨٩	٨ ر٢
١٦٧	٢٥٨٩٠٩٧٣	٥٧ر١٪

· تكملة الجـدول رقم ١ :

المحـافظة	مسلمون	مسيحيون
الجـيزة	٢٣٢٦٤٧٧	٩٢٦١٧
بنى سـويف	١٠٤٦٠٨٠	٦٢٥٣٥
الفيـوم	١٠٩٧٢٣٨	٤٣٠٠٧
المنيـا	١٦٥٧٣٧٩	٣٩٨٣٦٠
أسـيوط	١٣٥٦٤١٢	٣٢٨٩٦٦
سـوهاج	١٦٥٢٤١١	٢٧٢٥٤٩
قنـا	١٥٧٥٦٢٤	١٢٩٤٦٨
أسـوان	٥٨٥٧٨٨	٣٤١٤٠
جملة محافظات الوجه القبلى	١١٢٩٧٤٠٩	١٣٧١٦٤٢
محافظات الصـحراء	٣٣١٦٤٥	٤١١٣
التعـداد الـكلى فى مصر ليلة التعـداد	٣٤٢٣٧٠٧٤	٢٣١٥٥٦٠

(*) المصدر : الجهاز المركزى للاحصاء ـ تعداد نوفمبر ١٩٧٦ ٠

ديانات اخرى	جملة	النسبة المئوية للاقباط الى الجملة٪
١٥٣	٢٤١٩٢٤٧	٣ر٨
—	١١٠٨٦١٥	٥ر٧
—	١١٤٠٢٤٥	٣ر٨
—	٢٠٥٥٧٣٩	١٩ر٤
—	١٦٩٥٣٧٨	٢٠ر٠
—	١٩٢٤٩٦٠	١٤ر٢
٥٠٢	١٧٠٠٥٩٤	٧ر٦
٤	٦١٩٩٣٢	٥ر٥
٦٥٩	١٢٦٦٦٩٧١٠	١٠ر٦٪
—	٢٣٥٧٥٨	١ر٧ ٪
٣٥٤٦	٣٦٦٥٦١٨٠	٦ر٣١ ٪

وعقب هـذا الاعـلان قررت الاجهزة والتنظيمات الشعبية والدينية للاقباط الارثوذكس اجراء تعداد لهم بأنفسهم وحددت لذلك حملة من الشباب كانت تمر على البيوت المعروفـة لديهم من خـلال أوراق وتنظيمات الكنائس والكهنة والقسوس لكى يتم احصاء العدد اسما باسم ، غير أن هـذا المشروع لم يكتب له أن يصل الى غايته لاسباب كثيرة وظل لغز تعداد الاقباط الفعلى والحقيقى أمرا مخفيا .

ويعزو بعض الدارسين هـذا الخلاف بين الاحصاء الرسمى وهـو مليونان ونصف وبين ما يتصورونه الرقم الفعلى والذى يصل الى خمسـة ملايين من أن الاجهزة الادارية التى تقوم بالاحصاء فى الريف كثيرا ما تتحرج فى الاستفسار المباشر عن نوع الديانة (وهـذا أسلوب متحضر ورقيق على أى حال) وتكتفى بأن تملأ هـذه الخانة فى الاستمارات بالتخمين أو الاستنتاج وذلك بمجرد فحص الاسم الثلاثى لرب العائلة ، فاذا احتوى أسماء قبطية « زاعقة » مثل جرجس وبطرس وميخائيل وحنـا ، قيد مسيحيا والا قيد ببساطة باعتباره منتميا الى ديانة الغالبية وهى الاسلام .

وأعرف شخصيا حالات كثيرة لمواطنين أقباط وقـد

قيدوا فى بطاقاتهم الشخصية أو العائلية كمسلمين دون أن يثير ذلك أى جدل وأ الاحتجاج ومن الامثلة المثيرة للتعجب ما جاء فى بطاقة كاهن لكنيسة بالاسكندرية وقد سجل أمام خانة الدين « مسلما » ٠

ورغم تواجد الاقباط فى كافة المناطق الا أن الارقام الرسمية لتعداد ١٩٧٦ قد أوضحت أن نسبتهم تزيد عن ١٠٪ من التعداد الكلى للسكان وذلك فى محافظات القاهرة والمنيا وأسيوط وسوهاج ، وأن أعلى نسبة لتواجدهم هى فى محافظة أسيوط اذ يصلوا الى حوالى ٢٠٪ ٠

وفى الجانب الآخر توجد محافظات تكاد تخلو منهم اذ تقل تواجدهم (وفقا للاحصاء الرسمى) عن ٢٪ وذلك فى محافظات دمياط والشرقية والدقهلية وكفر الشيخ والغربية والمنوفية والبحيرة ولعل هذه النسب المئوية الهزيلة هى التى ولدت الحساسية والشكوك حول تعدادهم الكلى للاقباط وفتحت الحوار حول مدى صحته لان للاقباط تواجد ملحوظ وفاعلية فى هذه المحافظات وبالذات فى المدن ٠

ومن الملاحظ كذلك أن الارقام الرسمية تعطى مؤشرا

جدول رقم ١
عينات من توزيع السكان حسب الاديان فى الريف والحضر وبعض المناطق

تصنيف الموقع		مسلمون	مسيحيون
البحيرة	ريف	١٨٤٧٢٥٣	١٦٥٧٩
	حضر	٦٣٣٦٤٩	١٩٨٠١
	جملة	٢٤٨٠٩٠٢	٣٦٣٨٠
الشرقية	ريف	٢٠٧٤٥١٢	١٦٣٤٠
	حضر	٥١٠٤٥٣	١٩٩٠١
	جملة	٢٥٨٤٩٦٥	٣٦٢٤١
مدينة منيا القمح		٣١٦٢٨	١٩٥١
ريف مركز منيا القمح		٢٦٣٢٥٨	٣٥٧٩
قسم أول الزقازيق		٩٩١٦٩	٨١٦١
ريف مركز الزقازيق		٣٣١٤٠٥	٢٧٧٧
مدينة رشيد		٤٢٩٢٤	٣٨
ريف مركز رشيد		٧٢٣٨١	١٨
الاسكندرية	حى الجمرك	١٤٢٣٦٧	٤٣٩
	حى محرم بك	٣٠٠٤١٤	٣٥٧٨٤
	حى المنتزة	٢٩٠٦٣١	١٩٤١٣
محافظة أسيوط	حضر	٣٥٤٩١٥	١١٥١٢٧
	ريف	١٠٠١٥٠٧	٢٢٣٨٣٩
	جملة	١٣٥٦٤١٢	٣٣٨٩٦٦
مدينة أسيوط		١٥٢٦١٦	٦١٣٦٧
ريف أسيوط		١٦٣٨٢٨	٢٦٥١٠
مركز أبنوب	حضر	٢٨٩٠٣	١٠٤٤٠
	ريف	١٨٢١٠٣	٣٤٠١٢

+ المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بالقاهرة

بيانات اخرى	جملة	النسبة المئوية للاقباط الى المجموع
٢	١٨٦٣٨٣٤	٩ ر ٠٪
٨	٦٥٣٤٥٨	٠ ر ٣
١٠	٢٥١٧٢٩٢	٤ ر ١
٢	٢٠٩٠٨٥٤	٨ ر ٠٪
–	٥٣٠٣٥٤	٨ ر ٣
٢	٢٦٢١٢٠٨	٤ ر ١
–	٣٣٥٧٩	٨ ر ٥٪
١	٢٦٦٨٣٨	٣ ر ١
–	١٠٧٣٣٠	٦ ر ٧٪
–	٣٣٤١٨٢	٨ ر ٠
–	٤٢٩٦٢	٩ ر ٠٪
–	٧٢٣٩٩	٢ ر ٠
–	١٤٢٨٠٦	١ ر ٣٪
٣٠	٣٣٦٢٢٨	٧ ر ١٠
١٠	٣١٠٠٥٤	٣ ر ٦
–	٤٧٠٠٣٢	٥ ر ٢٤٪
–	١٢٢٥٣٤٦	٢ ر ١٨
–	١٦٩٥٣٧٨	٠ ر ٢٠
–	٢١٣٩٨٣	٦ ر ٢٨٪
–	١٩٠٣٣٨	٠ ر ١٤
–	٣٩٣٤٣	٠ ر ٢٦٪
–	٢١٦١١٥	٧ ر ١٥

النشرات عن تعداد نوفمبر ١٩٧٦

واضحا يدل على أن تواجد الاقباط فى المدن يزيد بشكل واضح عن تواجدهم فى الريف وذلك بدراسة الارقام ووفق ما أفردنا له عينات مما نشر من بيانات فى الجدول رقم ٢ ومما يجدر ملاحظته هو أنه لا يوجد تواجد يذكر لاية أديان أخرى بخلاف المسلمين والاقباط على مستوى مصر باكملها فيما عدا أفراد قلائل هنا وهناك .

أقبــاط القــرن العشرين

واذا كنا قد استطعنا أن نلقى فى السطور والصفحات القليلة بعض الاضواء على وضـــع الاقبـــاط فى مصر وتعــدادهم وبعض خــواصهم الاجتماعيــة وبالذات فى المراحل المختلفة لتاريخ مصر ، الا أن استشفاف المستقبل قــد يحتاج الى التعرف على موقع أقباط مصر من الاحداث السياسية وبالذات فى المراحل المختلفة لتاريخ مصر فى القرن العشرين والتى يمكن بلورتها فى مراحــل أساسية ثلاث يمكن التعرف عليها من خلال زعماء ثلاثة أيضا ، قادوا وأثروا فى مسار مصر منذ مطلع هــذا القرن وحتى أوائل السبعينيات وهؤلاء الزعماء وفق التتالى التاريخى هــم :

١ ـ مصطفى كامل كمؤسس للحزب الوطنى مـــع مطلع هــذا القرن ، وكانت علاقتــه بالاقباط متصادمة وتمكنوا من اعاقة حركته بطرق شتى .

٢ ـ ســعد زغلول كقائد للثورة الوطنية عام ١٩١٩، وقــد تمكن من خــلال حزب الوفــد أن يشد معه الاقباط ويعتبر عهـــده بمثابة شهر العسل للوحـــدة والوفاق الوطنى .

٣ ـ جمال عبد الناصر ولم يكن مدركا لدور الاقباط ، ولهم فى فترة حكمه موقفا سلبيا أحيانا ومتميزا أحيانا أخرى وبالذات فيما يتعلق بالتيارات اليسارية والقومية العربيـــة •

الاقبـاط ومصطفى كامل :

منذ احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ كان الصراع السياسى واضحا بين قوى أساسية ثلاث هى :

١ ـ القـوى الوطنية المصرية •

٢ ـ القـوى المتعاونة مـع الخلافة الاســلامية العثمانية فى تركيا •

٣ ـ القـوى الموالية للاستعمار البريطانى الجديد •

وكان موقف مصطفى كامل محددا فى أنه ضـد قوى الاستعمار البريطانى ، ولكن فكرياته وتصرفاته كانت خليطا من التيار الوطنى المصرى ممزوجا بالانتماء الى الرابطة أو الجامعة الاسلامية ممثلة فى الولاء للسلطة العليا والخلافة العثمانية فى الاستانة •

وقـد أثارت هـذه الفكريات المتضاربة شـكوك الاقباط ، وقـد عبر عن ذلك أحـدهم فى رسالة نشرها ورد عليها مصطفى كامل فى جريدة اللواء بتاريخ ٩ يناير ١٩٠٠ ـ اذ كتب « أحـد فضـلاء الناشئة القبطيـة » يقـول :

« يدهشنى أن أراك وأنت أشـد أبناء مصر حبا لمصر مناديا بالجامعة الاسلامية محرضا المسلمين على الاتحاد والاتفاق ، غير مهتم أبدا باخـوانك الاقبـاط الذين هم اخوتك فى الوطنية وأقرب اليك من مسلمى جاوه وبخارى والهنـد » .

ومن هنا نرى أن الاقباط فى مصر لم ينفعلوا مـع الحزب الوطنى الذى أنشأه مصطفى كامل وقـد تأكد ذلك فى رفضهم الانضمام اليه اذ لم يكن فى لجنة الادارة أى فى مجلس القيادة للحزب الاقبطى واحـد هو « ويصا واصف » من بين ثلاثين عضوا وحتى هـذا العضو الوحيد ما لبث أن استقال عام ١٩٠٨ أثناء حـدة الصراع بين الاقباط والمسلمين والتى تجسدت فى المبارزة بالمقـال الصحفى والتى كان أبرزها ما كتبه الشيخ عبد العزيز جاويش فى جريدة اللـواء لسان حـال الحزب الوطنى بعنوان « الاسلام غريب فى بلاده » وقـد اعتبر هذا المقال هجوما ساخرا على الاقباط .

وكان رد الفعل عندئذ هو عدم اقتناع بعض القيادات الوطنية آنذاك بازدواجية الولاء،مما دفع « سراة البلاد وأعيانها وأذكيائها » بتأليف حزب آخر فى ٢١ ديسمبر ١٩٠٧ ـ باسم « حزب الامة » وأسسوا شركة لاصدار « الجريدة » لتعبر عن رأى وفكر الحزب الجديد ، وكان ملفتا للنظر دخول أربعة عشر عضوا من الاقباط فى هذه الشركة من بينهم أسماء لامعة أخذت مواقع هامة فى حزب الوفد فيما بعد يذكر منهم : سنوت حنا وفخرى عبد النور وبشرى حنا وغيرهم .

وقد عبرت « الجريدة » عن مفاهيم الحزب فى كتابات فيلسون الحزب «أحمد لطفى السيد» والذى صار فيما بعد أول مدير لجامعة القاهرة ـ فبلور مفاهيم «الامة المصرية» ورفض الانتماء القومى لمصر لابعد من الحدود المصرية فكتب فى « الجريدة » فى ٩ يناير ١٩١٣ يقول :

« أننا نحن المصرين نحب بلادنا ولا نقبل أن ننتسب الى وطن غير مصر مهما كانت أصولنا،حجازية أو بربرية أو شركسية أو سورية أو أوروبية .

ويبرر هو ذاته الدعوة للجامعة الاسلامية فى مصر بأنه « كلما رأى المصريون اتفاق رجال السياسة

الاوروبية على شىء يضر بمصـــلحة مصر أو يبعـــد استقلالها ، قارنوا بين مصر وغيرها من ولايات البلقـــان التى استقلت (عن الدولة العثمانية) واستنتجوا من ذلك أن ذنب مصر أنها دولة اسلامية وأن أوروبا لا تســاعد فى الشرق الا الامم المسيحية » ٠

وقد لقيت كتابات أحمد لطفى السيد ، ترحيبا فكتب سلامة موسى فى مجلة الكاتب المصرى فى ٢١-١٢-١٩٠٩ يقـــول :

« أن أحمد لطفى السيد ـ قـد بلور الفكر الوطنى المصرى لانه هاجم حركة الجامعة الاسلامية اذ رأى أنها تقسم ولاء السكان المسلمين وتغضب المسيحيين » ٠

وقـد أدى هـذا الصراع بين المفاهيم المختلفة الى بلبـلة فكرية وسياسية واضـــحة وظهرت مرة أخرى شعارات « مصر للمصريين » والتى كانت قـد برزت أيام الثورة العرابية « ثم مصر أولا » ثم نوقشت مفـاهيم الوطنية والقومية من منطلقات سياسية متضادة ، فكل يحاول أن يؤكد هوية مصر فيما اذا كانت مصر «اسلامية» أو « فرعونية » أو « مصرية » أو قبطية ٠

ولهذا لم يكن عجيبا أن نرى الاستعمار البريطانى

وقد غذى كل من هذه التيارات فى آن واحد لكى يستقر له حكم مصر ، ومن ثم كان منطقيا أن تتدافع الاحداث لتصل الى قمة المأساة باغتيال بطرس غالى رئيس وزراء مصر عندئذ فى ٢١ فبراير عام ١٩١٠ ، وما أعقب ذلك من عقد مؤتمر للاقباط فى مدينة أسيوط فى ٤ مارس عام ١٩١١ والذى يعتبر من أسوأ ما رأت مصر فى القرن العشرين فى مجال الصراع الدينى ، وقد ردت مجموعة المصالحة الوطنية على ذلك بأن عقدت مؤتمرا آخرا فى القاهرة بعد شهرين من المؤتمر الاول وأخذ ذلك تفاصيل تركت أثرها على الوحدة الوطنية الى أن قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ فلم تجد بريطانيا أى صعوبة أو مقاومة فى أن تعلن الحماية على مصر .

وقد عبر الكاتب عبد القادر حمزة عن أسفه لعقد مؤتمر أسيوط فكتب فى جريدة « الاهالى » فى ٥ مارس ١٩١١ يقول : « ماذا بعد مقابلة المؤتمر القبطى بمؤتمر اسلامى ، فأية نتيجة ينتجها وقوف المؤتمرين وجها لوجه ، لينظر العقلاء فى ذلك قليلا وليتبصر الذين يدعون أنهم مصريون وان لهم وطنا يغادرون عليه ويدفعون عنه السوء » .

ما أود أن أصل اليه هو أن تاريخ مصر فى هذه الحقبة

قـد أكد المعلومة التى قد وعيها جيل ثورة ١٩١٩ من أن النزاع والصراع الدينى انما ينمو وترعرع فى أوقـات الانكماش والانحسار الوطنى وعندما يسيطر الاحتلال والاستعمار والقـوى الرجعية على الساحة السياسية وعلى الاعلام والجرائد ، عندئذ تزداد الحزازات الدينية وتبرز على السطح الصراعات على كافة أنواعها وعلى قمتها الخـلافات العقائدية وتصـوير الصراع على أنه تناقض بين مصالح الاغلبية المسلمة وبين ما تتطلع اليه الاقلية القبطية وذلك لاخفـاء الصراع الاسـاسى بين الاستعمار والقـوى الوطنية والذى تؤكـد أن مصالح الطبقات الشعبية كلها أقباطا ومسلمين هى فى تناقض مـع الاقطاع وبطش الرجعية المصرية أقباطا ومسلمين كذلك .

لقد وعى الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول بعد أن تدارسوا هذه الحقيقة وحللوا الاحداث التى عايشوها، ولذلك فان بداية الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى اتخذت لنفسها مسلكا مغايرا وأدركت أن الوحدة الوطنية هى ركن الزاوية فى مقاومة الاستعمار والاستغلال الوطنى .

الأقباط وسعد زغلول :

فى صباح ١٣ نوفمبر ١٩١٨ توجه سعد زغلول وبرفقته عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ، الى دار المعتمد البريطانى مطالبين بأنه قد آن الاوان لبحث مصير مصر ،وطالبوا بالتصريح بعرض قضية بلادهم على مؤتمر الصلح ، فكان رد المعتمد البريطانىبأنهم ما الا ثلاثة من أعضاء الجمعية التشريعية المعطلة ثم تساءل فى خبث : من أعطاكم تفويضا بالتحدث باسم مصر .. ومن هنا بادروا بجميع التوقيعات على أنهم « وفد شعب مصر » ومن هنا كان اسم الحزب الجديد « الوفد المصرى » وانضم الاقباط منذ البداية الى الحركة الجديدة وشارك فى ذلك أولا : فخرى عبد النور وويصا واصف وغيرهم ـ وقد رشحوا واصف بطرس غالى ـ الابن الثانى لبطرس

غالى ـ لعضوية « الوفـد المصرى » وهو قيادة الحزب الجـديد ٠

وهكذا كانت القيادة الوطنية واعية منذ البداية من أهمية موضوع الوحدة الوطنية والتى باركها ودعمها الشـعب ـ فانصهرت بالفعـل فى أحـداث الهبـة والانتفاضة الشعبية التى هزت أرجاء مصر ، وعرفت بثورة مارس ١٩١٩ حيث أفرزت شعارات تقدمية لا زالت باقية حتى الآن فى ضمير كل مصرى وهى أن « الدين لله والوطن للجميع » ـ وكانت الهتافات « عاش الهـلال مع الصليب » مقرونة بشعارات استقلال مصر والنضـال من أجـل الوطن الحر المستقل ٠

فى ٢٠ أبريل من عام ١٩١٩ احتفل الاقباط بعيـد القيامة فتحول الى عيد قومى للامة كلها فازدحمت دار البطريركية على اتساعها بالعلماء وطلاب الازهر ، والقى كل من المشايخ مصطفى القاياتى ومحمد أبو شادى وعلى سرور الزنكلونى خطبا تفيض بمعـانى الاتحـاد ورد عليهم كثير من الاقباط بخطب مماثلة من بينهم ابراهيم تكلا وخليل مطران وغيرهم ـ وبعـد ذلك بأيام أى فى ٢٤ أبريل ذهب وفـد من السيدات الاقباط فى مظاهرة

لتعضيد مجموعة مماثلة من السيدات المسلمات في جامع السيدة زينب بالقاهرة .

وتكرر الاندماج والانصهار مرة أخرى ففى ٢٩ يونيو من نفس العام احتفل المصريون جميعا بعيد الفطر المبارك فى الجامع الازهر بالقاهرة وفى جامع أبو العباس بالاسكندرية وفى كافة أنحاء البلاد واشترك المصريون جميعا مسلمين وأقباطا فى هذه المناسبات ... ويجدر هنا أن ننوه الى أن دور العبادة كانت هى الاماكن المؤهلة منطقيا لتجمهر وتجمع المواطنين فى ذلك الوقت ولاتخاذ الاعياد الدينية مناسبات وطنية وذلك تحاشيا للتصادم مع قوات الاحتلال البريطانى .

وقد تجلت مظاهر الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ فى الحركة المشتركة للاقباط والمسلمين فى مناطق المنيا وأسيوط حيث توجد تجمعات فعالة من المسيحيين ، الامر الذى أدهش وفاجأ الانجليز اذ اضطرتهم الثورة الشعبية فى هذه المناطق الى ارسال طائرتين حربيتين ألقيتا القنابل على مدينة أسيوط وديروط يومى ٢٣ و ٢٤ مارس ١٩١٩ ، وكان ذلك أمرا غير عاديا فى هذه الاونة ، فضلا عن ارسال حملة من الجيش البريطانى بقيادة الجنرال هدلستون الى هذه المناطق ، والذى أعلن يوم ٢٤ أبريل ١٩١٩ أنه قد تمكن من السيطرة على الموقف

وألقى القبض على حوالي ٤٠٠ شخصا ، اتهمتهم كالمعتاد باثارة الشغب •

أن هـذا المهرجان من المشاعر الفياضة المتبادلة بين الاقباط والمسلمين قـد أزعـج الاستعمار البريطانى ، فحاول ممارسة الاعيبة التى نجحت فى الفترة السابقة للحرب العالمية الاولى وايجـاد التفرقة مرة أخرى بين المسلمين والاقباط،وبالفعل تمت الاتصات التآمرية حتى نجح فى اقناع مصرى قبطى هـو يوسف وهبه باشـا لكى يكون رئيسـا لوزراء مصر فى ٢١ نوفمبر ١٩١٩ واضيعا خطة أن يكرر مأساة بطرس غالى •

ولكن يبدو أن كلا الطرفين قـد وعى دروس الانقسام منذ أيام مصطفى كامل فكان رد الفعل الشعبى سريعـا وفعالا ، ففى ذات اليوم وقبل صدور المرسوم السلطانى بتشكيل وزارة يوسف وهبه ـ اجتمع جمهور ضخم من الاقباط فى الكنيسة المرقسية الكبرى واحتجوا على قبول يوسف وهبه تشكيل الوزارة وأرسلوا بذلك برقية الى يوسف وهبه ذاته يحتجون على قبوله الوزارة « لان ذلك يخالف ما اجمعت عليه الامة المصرية من طلب الاستقلال التام ومقاطعة لجنة ملنر التى كان قـد أعلن عن مقدمها

لكى تفـــاوض مصر ونستحلفكم بالوطن المقـــدس أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن » .

ومما يجدر الاشارة اليه فى هذا المجال أن ثورة ١٩١٩ كانت بداية لتحرر المرأة ـ ومشاركتها للرجل فى الكفاح السياسي وكان لذلك فاعلية وتأثير كبير علي الحـركة الشـــعبية .

وهكذا يلمس كل محايد أن أحداث ثورة عام ١٩١٩ المتتالية وسريعة النبض قـد أكدت أن الحركة الوطنية المصرية قـد أدركت بوعى أن وحـدة الحركة الوطنيـة والتعاضــد بين المسلمين والاقبــاط كان من الاركان الرئيسية لدرء الثغرات التى ينفـذ منها الاستعمار عادة فى ممارسته فيتمكن من شرخ الحركة الشعبية وتحويل الصراع الاساسى الى صراع جانبى .

وربما كان الوفد بزعامة سعد زغلول قـد بالغ فى تأكيد هذا المعنى فأصروا على المبالغة فى عـدد الاقبــاط فى كافـة المستويات القيادية فى الحزب ، وقـد استمر الوفد فى هذا الاتجاه بعد وفاة سعد زغلول ، وتحت قيادة مصطفى النحاس حيث كان مكرم عبيد هـو الســكرتير العام للحزب والمحرك الاساسى لنشاطه ونضاله الى أن

حاول الملك فاروق شرخ حزب الوفد بتوليد الكراهية والخلاف بين النحاس ومكرم عبيد .

على أن الامر الملفت للنظر هو أنه رغم مرور ما يقرب من ستين عاما الان على تأليف حزب الوفد وطرح وتأكيد شعارات الوحدة الوطنية ، الا أن اسم « الوفد المصرى » ما زال مقرونا بهذه المبادىء حتى الان ، ونلمس ذلك فى أن قيادات حزب الوفد الجديد قد اختارت ابراهيم فرج (وهو قبطى أيضا) لكى يكون وكيلا عن الحزب فى تقديم مستنداته لامين الاتحاد الاشتراكى (د. مصطفى خليل فى ذلك الوقت) عام ١٩٧٧ ـ وعندما أعلن عن قيام هذا الحزب استفادت قياداته من تراث الوفد القديم فى مجال الوحدة الوطنية وتعاطف الاقباط معه وقد انضم اليه بالفعل آلاف الاقباط من أجيال جديدة كانت تعى درس الوحدة الوطنية من جيل مضى ، فرغم اتهام الاقباط بالسلبية والبعد عن المشاركة فى الحياة السياسية ولكنهم زحفوا للانضمام الى الحزب الجديد رغم أن هذا الحزب الوليد كان يشار اليه على أنه من « بقايا الاقطاع » .

واذا عدنا مرة أخرى لاستكمال مسيرة الحياة السياسية فى مصر بعد ثورة ١٩١٩ نلمس كيف استمر

حزب الوفد فى قيادة الحركة الشعبية المصرية وسارت الحيـــاة السياسية على طريق محـــاكاة « الليبرالية البرلمـانية على النمط الاوروبى » فنشأ وتدعم منهـج الاحزاب والانتخابات والبرلمـانات وذلك منذ أن صدر الدستور عام ١٩٢٣ ، حتى قيام ثورة عبد الناصر فى يوليـو ١٩٥٢ ٠

وقـد شارك الاقباط فى الحياة السياسية بقـوة فى هـذه الفترة حتى يمكن اعتبارها من هذه الزاوية من أغنى فترات الوحـدة الوطنية ، اذ تواجد الاقباط بشكل طبيعى على الساحة السياسية كلها وبالذات فى مجلس النواب والشيوخ ولم يكن هناك أى غرابة فى أن ينتخب ويصا واصف ـ ليس فقط كعضو مجلس النواب عن دائرة اسلامية تماما ، وانما انتخبه أعضاء المجلس كرئيس لمجلس النواب ولويصا واصف مواقف تاريخية مأثورة أشهرها يوم أن قام بتحطيم السلاسل التى قفلت بهـا أبواب البرلمـان واقتحامه للمبنى ورأس الاجتماع ضد رغبة المندوب السامى البريطانى والملك فـؤاد والحكومة وذلك فى ٢٣ يونيـو عام ١٩٣٠ ٠

وكان انتخاب الاقبـــاط فى البرلـــان أمرا عاديا وبسيطا ، ففى مناخ المد الديمقراطى كان الوفد ومرشحوه

موضع تأييد عامة الشعب بصرف النظر عن ديانة هذا المرشح أو ذاك ـ وانتشر شعار مأثور يطارح الان وهو أنه «لو رشح الوفـد حجرا لانتخبناه» •

وقـد ترتب على ذلك أن كان للاقباط تواجـد فعال على الساحة السياسية فى صورها المختلفة سواء أكان ذلك فى مجالس البرلمـان أو فى المناصب الوزارية أو فى مجالات الفكر المختلفة والتأليف والصحافة وكافـة وظائف الدولة وفى المواقع التى تشارك فى اتخـاذ القرارات •

ومن كل ذلك يتضح أن فترة حكم الاحزاب السياسية الليبرالية بزعامة الوفـد بين ثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢ كانت فترة تاريخية خصبة وثرية من وجهـة نظر انتفـاء التمايز الدينى والسير فى طريق بناء الدولة العلمانيـة ونمـو الوعى الحضارى فى الاتجاه الغربى وتقلص دور الدين على الساحة السياسية الى أن قامت جماعة الاخوان المسلمون بادخال الدين الاسلامى ليكون أساس الحكم ، ولكن حركة الاخوان المسلمين كانت ضعيفة ولم يشعر بها أحـد الا أبان الحرب العالمية الثانية وما بعدها عندما كونت فرقهـا المسلحة وقامت ببعض الاغتيـالات السياسية فى أواخر الاربعينيات •

ومع ظهور اسرائيل عام ١٩٤٨ على أساس دينى تقلص الفكر الليبرالى الذى أرسى قواعده الوفد وظهرت فكريات جـديدة نابضة ممثلة فى مبادىء الاخــوان المسلمين كفكر يمينى يدعــو الى العودة لايام الاسلام الاولى وذلك كرد على الفكر الصهيونى وظهرت كذلك الافكار اليسارية بكافــة ألوانها تدعو الى تجاوز الحاضر والسالف الى مستقبل علمــانى ٠

وفى هــذا البحر المتلاطم من الفكريات المتعارضـة ظهرت جماعة غير متجانسة من ضباط الجيش يملأهــا الحماس والنقاء فتأخــذ الحكم وتمهد لفترة تاريخية كانت سمتها الاولى شخصية جمال عبد النـاصر ٠

الأقبــاط وعبــد النـاصر :

كانت نقطة البداية فى الحقبة التى يشار اليها بثورة ٢٣ يوليــو ١٩٥٢ هى تنظيم « الضباط الاحرار » داخل الجيش المصرى أبان حكم الملك فاروق وقد تصادف نتيجة لسرية التنظيم أن قيادات الحركة وما سمى بعــد ذلك « مجلس قيادة الثورة » (وعددهم ١٣) أن لم يكن بينهم قبطى واحــد ٠ ولذلك فان فترة حكم عبد الناصر

لم تمثل أى تواجـد للاقباط على الساحة السياسية فى المستوى القيادى وقـد اكتفى نظام الحكم لذلك بالبحث على قبطى من « التكنوقراط » الفنيين لكى يقـوم بدور تمثيل الاقباط فى الوزارة ، وكان اختيار هـذا الوزير أو ذاك مبنى على حسن السمعة فيما يتعلق بسـلوكه الشخصى ثم على قـدرته فى مادته التخصصية وغالبا ما كان استاذا جامعيا ولعل أبرزهم ومن كان قادرا على الاستمرار أطول مدة ممكنة هـو الدكتور كمال رمزى استينو اذ كان مشهودا له بالنزاهة والخبرة فى ميدان الزراعة والتموين ولكنه هـو ذاته لم يدع أنه كان فى يوم من الايام رجـل سياسة .

وظـل الاقباط فى حالة ترقب منذ بداية الثورة عام ١٩٥٢ ولكن الاقباط شعروا بالارتياح فى أواخر عـام ١٩٥٤ عندما اصطدم جمال عبد الناصر مـع الاخـوان المسلمين ولـكنهم استمروا فى سلبيتهم فى عـالم الانتخابات والحياة العامة لانهم وجـدوا صعوبة شديدة لاستئناف نشاطهم مثلما كانوا أيام انتخابات الوفـد وعندما تقرر عمل انتخابات عامة لاول مجلس للامة فى عهد الثورة عام ١٩٥٧ ، واتضح لهم مـع الممارسة أن وصول قبطى الى مقعد فى هـذا المجلس لهو أمر بالـغ

الصعوبة أن لم يكن مستحيلا ، فقد تقرر حل جميع الاحزاب السياسية بما فيها حزب الوفد وطرحت شعارات جديدة تماما فقد أصبحنا « كلنا هيئة التحرير » أو أن « الاتحاد القومى » هو الوعاء الام تعبيرا عن « تحالف قوى الشعب العامل » ولذلك فان كل المرشحين هم بالضرورة أعضاء هذا « التنظيم الواحد » وهكذا ودون تخطيط ظهرت الطائفية على السطح مرة أخرى فى عمليات الانتخابات وبدلا من شعار الحزب « لو رشح الحزب حجرا لانتخبناه » أصبح الفيصل فى الاختيار هو الانتماء الطائفى أو الشللى ، فهذا المرشح أفضل لانه « ابن الدائرة » وذلك أحسن لانه من « العمال والفلاحين » ومن ثم كان الهمس بالتكتل ـ لانجاح المسلم ضد القبطى صار واضحا لكل متابع للحركة العامة أن انتخابات عام ١٩٥٧ لن توصل أى قبطى الى المجلس الاول فى عهد الثورة ٠

وقد أدرك عبد الناصر بحسه السياسى هذه المشكلة ، فاضطر الى ابتكار أسلوب جديد لم يمارس من قبل حتى يضمن تواجد الاقباط فى المجلس النيابى وقرر اداريا « قفل » عشرة دوائر اختبرت بدقة حيث التواجد القبطى محسوسا ومؤكدا ، وذلك بأن يقتصر الترشيح على الاقباط وحدهم مستفيدا من أن المرشح لابد أن يأخذ

موافقة الاتحاد القومى (فى ذلك الوقت) والذى كان له حق الاعتراض على أى مرشح دون ابداء الاسباب ٠

تركت هــذه الدوائر للتنافس بين المرشحين الاقباط فقط ، ولكن اشتراك كل أهالى هــذه الدوائر أقبــاطا ومسلمين فى عملية الانتخاب ، ومن بين الاعضاء الذين فاروا فى هــذه الانتخابات الدكتور فائق فريد عن منطقة شبرا بالقاهرة حيث يوجــد بالفعل تجمع واضــح من المسيحيين ، ولكن هــذا التجمع لم يكن قادرا فى أى انتخابات تمت بعد ذلك على امرار عضو مجلس قبطى وذلك عندما تقرر الاستغناء عن أسلوب قفل الدوائر فى الانتخابات التاليــة ٠

على أن الاعلان عن قيام الوحــدة بين مصر وســوريا عام ١٩٥٨ قــد اتخذت سببا لحل هــذا المجلس فاختفى بكل ما يحمل من خبرة هذه الانتخابات ذات الدوائر المقفلة على الاقباط ٠ ولكنه ترك بصمة أسيفه عندما قبض على الدكتور فائق فريد ليقضى خمسة سنوات فى معتقل الواحات من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ ــ الامر الذى ساهم ولو جزئيا فى مزيد من سلبية أقباط مصر فاثروا الابتعاد عن الساحة السياسية ٠

وفى كل المجالس النيابية التى تلت ذلك ، استغنى عن نظام قفل الدوائر واكتفى بحق رئيس الجمهورية فى تعيين عشرة أعضاء فى مجلس الشعب (أو الامة) لتمثيل أقليات رؤى ضرورة تواجدها فى المجلس ولو بشكل رمزى ، وهذه الاقليات هى الاقباط واليسار والمرأة ، وجرى العرف أن يكون غالبية الاعضاء المعينين من الاقباط ،وكثيرا ما كان الاختيار لعضو يمثل التيارين معا ـ فاختير الاستاذ أبوسيف يوسف ممثلا لليسار وهو قبطى فى ذات الوقت ، وكان مديرا لتحرير مجلة الطليعة اليسارية حتى أقفلت عام ١٩٧٧ أيام رئاسة المرحوم يوسف السباعى لجريدة الاهرام وظل أبو سيف عضوا معينا فى برلمان ١٩٦٨ و ١٩٧١ ـ الى أن اتخذت الحكومة موقفا معاديا للاتجاهات اليسارية فأوقفت اختيار ممثل لليسار ، ومن الاعضاء المعينين أيضا ممن لهم ازدواجية التمثيل الدكتورة ليلى تكلا عن المرأة وهى قبطية فى الذات الوقت .

ولكن رغم احتجاج الاقباط على هذا الاسلوب وهو تمثيلهم بعشرة أعضاء فقط من بين ٣٦٠ عضوا فالملاحظ أنه كثيرا ما كان عددهم يقل عن العشرة المسموح بهم ، لان الحكومة لم تكن تجد من وسيلة الا التعيين عندما ترغب فى ادخال شخص بعينه على الساحة السياسة

كجزء من خطة مستقبلية ، ولعل أبرز مثل على ذلك هو تعيين الدكتور مصطفى خليل فى برلمان ١٩٧٦ ضمن هؤلاء العشرة وكذلك الدكتورة أمال عثمان عن المرأة وكان تعيين الاثنين هو مدخلها للوزارة والحياة العامة ٠

وكان الشاهد أن هؤلاء الاعضاء المعينين أقباطا كانوا أو مسلمين لم يكونوا ذا فاعلية فى داخل المجلس ، فقد علمتهم الخبرة بأن يكونوا مصفقين ومداحين وفى أفضل الاحوال صامتين والا فانهم يعرفون مسبقا أن مصيرهم الى الاستغناء عن خدماتهم مع انتهاء فترة المجلس وهذا ما تم بالفعل للدكتور رشدى سعيد أستاذ الجيولوجيا المعروف والذى عين فى كل المجالس منذ عام ١٩٦٤ ، ولكن استغنى عن خدماته ولم يعين عام ١٩٧٦ ، لانه لم يكن مؤيدا لسياسة الحكومة على طول الخط فى السنوات الاخيرة لهذا المجلس ٠ ولقد لاقت الدكتوره ليلى تكلا نفس المصير اذ رفض تعيينها فى المجلس الذى تشكل عقب الانتخابات الشهيرة والتى لم يدافع أحدا عن نزاهتها فى صيف ١٩٧٩ وذلك لان الدكتورة ليلى تكلا قد انتقدت اتفاقيتى كامت دافيد فى الكواليس رغم أنها صوتت مع الاتفاقيتين عشية أن صدر القرار بحل مجلس الشعب فى أبريل عام ١٩٧٩ ٠

واذا كانت هـذه التفاصيل لضمور دور الاقبـاط على الساحة السياسية وفى مجال البرلمـان هى تعبير عن أحجام الاقباط فى هـذه الحقبة الا أن الاقباط قـد سعدوا بالقرارات الاشتراكية وبالمناخ العام الذى أوجده عهد عبد النـاصر من عدالة اجتماعية واعطاء كل مواطن نفس الفرص بصرف النظر عن وضعه الطبقى أو معتقداته الدينيـة واستقرت فى هـذه الحقبـة قواعـد جـديدة : المسـاواة عنـد دخـول الجامعـات وامتحانات القبـول للوظـائف العـامة وغير ذلك من الامور ، فقد أشع الفكر الاشتراكى على كافـة نواحى الحياة وبالتالى قل احساس القبطى بالغربة وتسلح بالعلم والعمل لكى يأخـذ مكانه فى المجتمع الذى كان فى طريقة لوضع قواعد وأسس جـديدة ٠٠ وقبل الاقباط عن طيب خاطر التواجد الشكلى المحدود على السـاحة السياسية لانهم أدركوا أن القيادة الحقيقية والفعالة لم تكن للمجالس النيـابية بل كانت بالفعـل لشخص عبد النـاصر وهـو موضع ثقـة الجماهير العريضة كلها أقباطا ومسلمين وعلى المستوى العربى ودول العـالم الثالث على كافة مواقعها ٠

الأقبـاط واليسـار :

لم يقترب جمهور مصر العادى من الافكار الاشتراكية

والماركسية والشيوعية كما تبلورت فى العالم الغربى والاوروبى الا أبان الحرب العالمية الثانية نتيجة لدخول الاتحاد السوفيتى الحرب الى جانب الحلفاء وبروز الصراع الفكرى بين الافكار الفاشية من جانب وتحالف الديمقراطيات الغربية مع الاحزاب الشيوعية والاشتراكية من جانب آخر ، وقد أدى هذا المناخ العالمى وتتالى أخبار الحرب الى انتشار هذه الافكار بين المثقفين والشباب فى القاهرة والاسكندرية ثم امتد تأثير هذه المبادىء ـ لكن بصعوبة بالغة ـ الى المدن الاصغر ثم الى الريف وحتى الآن وبعد مضى ما يقرب من الاربعين عاما فان المبادىء اليسارية ما زالت محدودة الانتشار بين الطبقات العمالية فيما عدا بعض القيادات الواعية فى بعض المناطق الصناعية المعروفة كحلوان وشبرا الخيمة وكفر الدوار وكرموز والمحلة الكبرى حيث توجد بالفعل تكتلات عمالية ضخمة منذ زمن بعيد ٠

أما فى الريف فان التواجد اليسارى فهو غير فعال فيما عدا أنصار عبد الناصر وفى مجالات المناطق التى استفادت من الاصلاح الزراعى فى الاساس ٠

فاذا عدنا لتحليل علاقة الاقباط باليسار فان الظاهرة التى تدعو للتأمل هى أن عدد الاقباط الذين تأثروا

واعتنقوا المبادىء الماركسية والشيوعية كان أكثر بشكل واضح من نسبتهم العامة الى كل تعداد شعب مصر ، وظل الامر كذلك منذ الاربعينيات الى سنوات قليلة مضت .

هذا وقد تعرضت الحركات اليسارية الى حملات الاضطهاد الشديدة منذ ظهورها وفى أثناء حكم القيادات الرجعية ، ممثلة فى حكم اسماعيل صدقى والنقراشى وغيرهم فى أواخر الاربعينيات وكان القول السائد بأنه لو قبض على وطنى وكان مسلما اعتبروه واتهموه بالانتماء الى تنظيمات جماعة الاخوان المسلمين ، ولكنه كان يصنف بواسطة رجال الامن كشيوعى لو كانت ديانته مسيحية أى قبطيا .

وربما يعود ذلك الى الحملة الثقافية التى كان يقودها سلامة موسى فى اجتماعات صباح الجمعة فى جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة والتى كان يناقش فيها بحرية الافكار الماركسية من منطلق علمى وحضارى ليدعو الى اقتفاء أثر الحضارة الغربية بعيدا عن « غيبات الدين » وهو الامر الذى شد انتباه كثير من شباب هذا الجيل الذى تأثر بعصر النهضة فى أوروبا ومنذم اتجهوا الى دعم حركة تنوير بين المثقفين المصريين الذين ارتبطوا

وارتضوا ثقافة حوض البحر الابيض المتوسط استمرارا لما دعى اليه الخديوى اسماعيل من أن تكون « مصر قطعة من أوروبا » ٠

وعندما دخل عبد الناصر فى صدام مع عبد الكريم قاسم فى أواخر الخمسينيات ، اضطهد الشيوعيين واليساريين ، وقادت الدولة حملة واسعة اعتقل فيها عدة آلاف وزج بهم فى سجون مصر المختلفة فى أبى زعبل والقناطر والفيوم ثم فى عمق الصحراء فى الواحات وظل غالبيتهم ما يزيد عن خمسة أعوام كاملة فى السجون والمعتقلات من أوائل ١٩٥٩ وحتى زيارة خرشوف لمصر فى مارس ١٩٦٤ ٠

وقد استفلت نظر المباحث العامة عندئذ ظاهرة أن ما يزيد عن ٣٠٪ من المعتقلين هم من الاقباط ، وحاولوا أن يجدوا لذلك تفسيرات عديدة ٠

لم يكن الامر فى حاجة الى استفسار أو تعليل فالمعروف أن المبادىء الشيوعية تستهوى أول ما تستهوى الفئات التى تشعر أنها مضطهدة بشكل أو بآخر ، وقد أقبل بعض المثقفين الاقباط على هذا التيار الفكرى الجديد باعتباره امتدادا وأكثر تقدما لارساء قواعد

الدولة العلمانية التى صارع وطالب بها الوفد وما توقعوه من أن المبادىء الشيوعية سوف تقضي على ما تبقي من فوارق بسبب الدين ٠

غير أن خبرة الاقباط في عهد عبد الناصر أقنعتهم بأن الطريق ليس قصيرا أو ممهدا بعد لتقبل هذه الافكار خصوصا وقد لاحظوا أن تيار الانتماء الاسلامى ممثلا فى الاخوان المسلمين أو الجمعيات الدينية فى تصاعد مستمر ، وبالذات بعد انحسار حزيران ١٩٦٧ ٠

وهكذا وجد الاقباط أنفسهم وقد تقوقعوا مرة أخرى الى الداخل مثلما تفعل الدودة بالفعل عندما تنكمش داخل القوقعة وقت الاحساس بالخطر ، فاثروا الابتعاد عن التيارات السياسية المتصارعة واكتفوا بالتواجد والنشاط الشرعى داخل تنظيمات الكنيسة الدينية ولذلك تجد أن فترة ما بعد ١٩٦٧ كانت مقرونة بنشاط مكثف فى مجال الثقافة الدينية ، وما سميت بعد ذلك بالتربية الكنيسية وهى امتداد لحركة مدارس الاحد الاصلاحية فى الثلاثينيات ، فترعرعت اجتماعات الشباب الجامعى فيما يسمى بالاسر الدينية في كل كلية وازدهرت داخل أسوار الجامعة وخارجها ولمس كل الساسة أن ذلك يصب فى اجتماع ضخم يقيمه مساء كل جمعة الانبا شنودة منذ

افتتاح الكاتدرائية الكبرى بالعباسية عام ١٩٦٨ وكان ذلك وقت أن كان البطريرك هو الانبا كيرلس السادس والذى كانت تربطه ـ بعبد الناصر صداقة واحتراما متبادلا ، وقبل أن يتبوأ الكرسى الاسقف شنودة عام ١٩٧١ باسم البابا شنودة الثالث والذى أصر على استمرار اجتماع الجمعة رغم مشاغله ومسئولياته المتعددة .

وهكذا اختفى من الساحة السياسيون القدماء من زعماء الاقباط فى الوفد من أمثال ويصا واصف فى الثلاثينيات ثم مكرم عبيد فى الاربعينيات وظهر بدلا منهم زعامات جديدة تلبس العمامة السوداء ، تمارس قيادتها وسيطرتها من خلال كراسى الاسقفية والمطرانية والبطريركية فبدلا من أن تسير مصر نحو العلمانية امتدادا لمسيرة الوفد عام ١٩١٩ ـ اذ بالنفوذ السياسى يتسرب الى القيادات الدينية أو أن القيادات الدينية قد أخذت موقع القمة وأصبحوا هم المتحدثون باسم الاقباط ولم يسمح رسميا بوجود قيادات سياسية قبطية الا اذا نمت فيه من خلال الاجهزة والتنظيمات الدينية ويشاع بأن قائمة التعيينات والاختيارات فى المناصب السياسية فى مجلس الشعب أو مجلس الوزراء يحسن أن تأخذ رضى وبركة السلطة الكهنوتية .

وقـــد أثبتت الاحداث أن حركة الاقباط العامة تصبح ذات تأثير أقوى عندما يكون الضغط من خلال رجـــال الدين ، لان اعتقال رجل سياسة قــد يكون أمرا ســهلا وممكنا بينما تعمل السلطة ألف حساب قبل الدخول فى صدام مع أسقف أو أحــد القيادات فى المجمع المقــدس وقــد أثبتت الاحداث هذا المفهوم الجــديد ، اذ عندما أعلنت حكومة ممدوح سالم فى أغسطس ١٩٧٧ أنها تنوى تطبيق الحــدود فى الشريعة الاسلامية على المرتد ٠٠ لم تستطع القوى التقدمية أن تواجه الموقف ولكن الانظــار اتجهت الى قيادة الكنيسة لاختبار أسلوبها وطريقتها فى معالجة الازمة ٠٠ وقــد أعلن البابا شنودة الثالث حالة الصيام لجميع الاقباط لعدة أيام وتنفذ ذلك فى جميع المدن والقرى فى مصر ، فكان ذلك هو الاسلوب المبتكر والفعال والذى أدى الى تراجع الحكومة واعلانها الصريح بسحب مشاريع القوانين المقدمة الى البرلمــان فى هــذا الشأن ، وقـــــــد كان للتكتلات القبطية والتى هاجرت واستقرت فى أمريكا واستراليا تأثير ضخم فى الضغط على الحكومة من الخارج ، اذ تحركوا متظاهرين ضد هذه التشريعات ولم يهــدأ لهم بال الا بعـــد أن أرسلت لهم القيادة الدينية فى مصر برقية تنبىء زوال الازمة ، وقد تم كل ذلك دون أن تكتب الصحافة المصرية عن هـــذه التحركات سطرا واحــدا ٠

هكذا نرى كيف أن صورة الحركة السياسية للاقباط قد أخذت مسارا معاكسا لحركة التاريخ اذ بدأوا صراعهم فى أوائل القرن من منطلق المحافظة على حقوقهم كأقلية من خلال قيادة مدنية تناقش أمور الدنيا ثم امتزجوا تماما مع الحركة الوطنية فى كافة تنظيمات الاحزاب السياسية لدفع الاتجاه العلمانى للدولة بهدف تذويب الفوارق بين الاديان وكان ذلك سمة الفترة بين الحرب العالمية الاولى والثانية ، ثم استمروا فى الاندفاع فى الاتجاه الصحيح بعد الحرب العالمية الثانية فنضم بعض قياداتهم الى حركات اليسار لحل مشاكل كل الفئات المضطهدة ومن بينها الاقليات وظل الامر كذلك حتى نهاية فترة عبد الناصر ··· أما فترة السبعينيات فان السمة الاساسية لها هو لجوء الطبقات الحاكمة الى تقوية التيارات الدينية الاسلامية بهدف الحد من التيارات والافكار اليسارية فى كافة صورها ··· كل ذلك قد دفع بالاقباط الى التقوقع مرة أخرى والالتفاف حول التشكيلات والتنظيمات الدينية ومن ثم لبست قياداتهم العمم السوداء ، وأصبح الحديث عن حقوق انشاء الكنائس أسوة بالجوامع بدلا من حقوق متساوية فى فرص العمل والوظائف العامة وصار الحديث عن حوادث الاعتداء على الكنائس وأسلوب حمايتها بدلا من

قصص مهاجمة معسكرات الانجليز فى قناة السويس أو مشاكل التحرر الوطنى أو القضايا الاجتماعية والفكرية والحضارية ٠

وعندما يجد فى الامر أمرا وتضطرب العلاقات بين الجماعات الدينية الاسلامية ونظيراتها المسيحية فى المدن الجامعية فى المنيا وأسيوط أو عندما اعتدى بالفعل على كاهن فى قرية التوفيقية بمركز سمالوط بالمنيا ومات نتيجة هذا العدوان فى مارس ١٩٧٨ ، أو عندما احترقت كنيسة الخانكة عام ١٩٧٢ ، أو كنيسة قصرية الريحان بمصر القديمة فى مارس ١٩٧٩ ٠٠٠ عندما يحدث شيىء من هذا أو ذاك لا يكتب حرف واحد فى الجرائد التى تسمى بالقومية أو يجرى حوار أو مناقشة بين المثقفين أو قيادات السياسة لايجاد المناخ والتوعية الوطنية والحضارية المناسبة وانما يقتصر الامر على حوار سرى بين « أجهزة الامن المختلفة » وبين « المطارنة والاساقفة » باعتبارهم جهة الاختصاص ٠٠٠ ولذلك فان الحوادث تتكرر وأغلب الظن أنها ستستمر فى التكرار فى صور مختلفة لان مناخ السياسة لم يتغير ٠

ومهما تعالت الصيحات فى صورها المختلفة بأجهزة الاعلام من أن القاعدة العريضة سليمة مائة فى المائة ،

وتملأ واجهات الصحف صور الاذرع والايادى متشابكة بين أسقف المحافظة مع شيخ المعهد الدينى ، فان رأى المتابعين لهذه الحوادث هو أن المشاكل ومثل هذه الوقائع ستستمر لان أسلوب المعالجة يقتصر على السطح دون العمق ، ولان الحكومة سعيدة بتواجد هذه الجمعيات الدينية من كلا الطرفين بهذه الصورة لاسباب « فى نفس يعقوب » ... غير أن أحداث ايران قد أوجدت نوعا من المراجعة لهذا الاتجاه .

أسلوبان ومنهجان :

اذا كان من خلاصة لهذه الدراسة فانه يمكن القول : أن **حركة الاقباط فى مصر هى جزء لا يتجزأ من حركة شعب مصر ككل** وأن الظروف التى تؤثر عليهم هى ذات الظروف التى تؤثر على المجتمع كله وذلك فى كافة قطاعاته ، فالفلاحون الاقباط يتحركون ويفكرون وينفعلون كأقرانهم المسلمون سواء بسواء ،وكذلك العمال والتجار والحرفيون ويشمل ذلك أيضا مجالات المثقفين والموظفين وحتى الرأسماليين والانفتاحيين من سماسرة ووكلاء الشركات الاجنبية وغيرهم من الفئات المختلفة .

ورغم كل ذلك فان الاقباط ــ كما سبق أن أوضحنا أيضا ــ وهم جزء من حركة الشعب المصرى ــ لهم

مشاكلهم ومشاعرهم الخاصـــة والتى ترتبط بتحقيق طمـــوحاتهم وأمانيهم وتراثهم كأقلية ، لهــا بعض الخصوصيات ، ومن ثم نلمس أن للاقباط تواجـدا على الساحة السياسية يؤثر فى باقى المجتمع كما أنه يتأثر بما يدور حوله من أحداث فى اتجاهات قد تبدو متعارضة ولكنها فى حـدودها القصوى سلبا وايجابا بين طرفى نقيض. كالآتى :

الاختيار الاول :

وليس بالضرورة هـو الا صوب ، طريق تشده فكرة **القومية المصرية والانتماء الفرعونى** ويرى أن الارتباط مـع الغرب فيـه مصلحة لمصر باعتبار أن دول أوروبا الغربية وأمريكا تدافع عما أسماه تشرشل « **حضارتنا المسيحية** » ويرى هـذا الإتجاه أن البعد عن العرب فيه ضعف للاسلام وبالتالى عدم سيطرة التيار الدينى الذى يخشاه الاقباط ويرقبون حركته فى حـذر وترقب ، ومن هنـا كان هـذا التيار الفكرى متعاطفا مـع ما يسمى « السلام مـع اسرائيل » **ويرى فيه أيضا قبولا لمبـدأ التعـدد فى الاديان** ومن ثم يسمح بنشاط وتواجـد التيـار الدينى المسيحى . ونلمس جميعـا كيف تتم الاستفادة من هذا التيار فى الممارسة اليومية للحركة السياسية .

الاختيار الثانى :

لا ينبغى أن ننكر أن هناك طريقا آخر يرى أن اضطهاد الاقباط كأقلية ـ مهما كان هذا الاضطهاد بسيطا ولينا ـ مرتبط باضطهاد المصريين جميعا من منطلق أن التيارات الرجعية العالمية والمحلية هى التى تقوم بالتفرقة بين المسلمين والاقباط استمرارا لمبدأ الاستعمار القديم « **فرق تسد** » ويرون أن اسرائيل هى نوع من الاستعمار الاستيطانى يخطط ويناور لكى يسيطر على المنطقة ويحول كل المواطنين العرب بصرف النظر عن انتماءاتهم الدينية الى **مواطنين من الدرجة الثانية** باعتبار أن اليهود هم « **شعب الله المختار** » . ومن ثم فان هذا التيار قد تبنى الافكار العلمانية والابتعاد عن **اقحام الدين فى شئون الدنيا والسياسة** علاوة على تبنى **الافكار الاشتراكية** بكل صورها ، لانه كلما قلت الفوارق بين الطبقات قلت كذلك الفوارق بين الاديان . . .

على أن الامر الملفت للنظر فى هذا الشأن هو أن سيطرة الهيكل القيادى لرجال الدين القبطى لم تسمح بعد بظهور ما يمكن أن يسمى **بالتيار الدينى المستنير** الذى يقبل ويتحالف مع الاشتراكية وبطريقة تناظر ما نراه فى أمريكا اللاتينية الكاثوليكى ـ وامتدادا لهذا

الفكر فان الاقباط كجزء من الشعب المصرى لابد أن يؤيدوا مفاهيم **القومية العربية** من منطلق أن وحـدة الشعوب العربية هى السبيل الاكيد لحريتها وتخلصها من كافة أنـواع القهر والتخلف الـذى يتضمن عـادة التعصب الدينى .

أن مسار حركة التاريخ فى المنطقة خلال الثمانينات هـو الذى سيحدد أيا من التيارين سيسود ، ولكن من المؤكد أن الشعوب والحـق والتقـدم هى التى ستنتصر فى النهـاية .

الجزء الثالث :

نعم أقبـــاط ٠٠٠ ولكن مصريون

سوف يسجل التاريخ أن عام ١٩٨٠ كان من الاعوام الحزينة على مصر فيما يتعلق بالوحــــدة الوطنية بين المسلمين والاقباط ، ففى **ليلة عيد الميلاد** أى فى مساء ٦ يناير ١٩٨٠ وقعت عـدة أحـداث فى ذات اللحظـة جديرة بالتسجيل ٠ فى الوقت الذى كان يلقى فيه وزير الداخلية بيانا فى التليفزيون بأنه قد تمكن من القبض على محاولة ايرانية أرسلت جواسيس للتخريب ووضع متفجرات على الكنائس فى ليلة عيد الميلاد ، وكان ذلك تعقيبا على شهادة بدت كما لو كانت جزءا من مسرحية سابقة التجهيز ، أقر فيها هــذا الشاهد الايرانى بلغــة عربية فصحى أنه جاء لمصر للتخريب ٠٠٠ ، فى ذات الوقت كانت تلقى بالفعل قنابل على كنيسة أو أكثر فى مدينة الاسكندرية ٠٠٠ ومن المفارقات أن ذلك الوقت كان سابقا ربما بساعة أو ساعتين لالقاء البابا شنودة خطابه التقليدى كعظة عيد الميلاد والذى يحيىّ فيه عادة ضيوفه من كبار المسئولين فى الحكومة لتشريفهم حفــل صــلاة

الميلاد مرددا أسماءهم واحـدا واحـدا ٠٠٠ ثم استطرد فى خطـابه يصـلى ويدعــو من أجـل المجاهـدين فى **أفغانستان** وكذلك من أجل السلام فى المملكة العربية السعودية بعـد حوادث الاعتداء على المسجد الحرام ٠

وقبيل عيـد القيـامة بأيام وفى **٢٣ مارس ١٩٨٠** الموافـق ١٧ برمهـات ١٦٩٦ للشهداء صـدر قرار من « **المجمع المقــدس للكنيسة القبطيــة الارثوزكسية** » ـ وهــو أعلى سلطة كهنوتية للاقبــاط ـ قرارا مسببا ينتهى الى « الغاء الاحتفالات الرسمية بعيد القيامة المجيد هـذا العام والاكتفاء بالصلاة فى الكنائس ، مـع عـدم تتبل التهـانى بالعيد ، وذلك **تعبيرا عـن الآلام التى يعانيها الاقباط** كما قرر أعضاء المجمع المقدس الاعتكاف فى الاديره خلال العيد ٠ ٠ ٠

وكان هـذا البيان الذى أذيع فى جميع كنائس مصر بمثابة « القشـــه التى يمــكن أن تقسم ظهــر البعير » وبسرعة رهيبة تعكرت مياه النيل الصافية وتحولت الجلسات العائلية فى الامسيات الى حلقات ساخنة من النقــاش الحــاد والمر وبدلا من الزيارات والاتصـــالات الهاتفية الرقيقه المتبادلة بين المسلمين والاقباط فى هذه المناسبات اذ بالخصومة بين الاصدقاء تظهر على السطح

وكل طرف يلقى اللوم على الطرف الآخر ٠٠٠ وتولد مناخ رهيب كما لو كنا على فوه بركان ٠٠٠

ومما زاد الطينة بلة أن وزير الداخلية قد تعجل مرة أخرى فألقى بيانا عن هذه الاحداث توحى بأن الاقباط يبالغون فى تصوير أحداث بسيطة عادية ٠٠٠ وقد أفزع بيان الداخلية جمهور الاقباط والعجيب فى الامر أن الصحافة القومية وبالذات جريدة « أخبار اليوم » نشرت مقالات اعتبرها الاقباط هجوما صريحا عليهم ٠٠٠ وهكذا ازداد الموقف تعقيدا وبدى كما لو كنا على عتبة مرحلة فتنة طائفية ٠

ان هذا ما كنا نخشى الوصول اليه ، وما الكتابه التى سطرناها ، والدراسات التى أوردناها ٠٠٠ الا خوفا من أن تصل مصر الى ما تدفع اليه ٠٠٠ وأتمنى أن تكون سطور هذا الكتاب فى اتجاه اطفاء الفتنة الحالية ، والتى لا أشك فى أنها ستمر بسلام ، ولكن فتحا لحوار أهدأ يهدينا جميعا الطريق السوى ويجنب مصر كل فتنة ٠

وفى مناخ هذه العنعنة والثرثرة والتوتر من الجانبين ، نجد كافة أنواع المفسرين والشارحين

والمحللين ٠٠٠ كل طرف يلقى اللوم على الطرف الآخر ٠٠٠ وهذا هو الهدف لكل من لا يحب مصر ويكره وحدتها ٠٠٠ فبدلا من أن نفكر ونحلل ليتجه نظرنا نحو المستفيد من شرخ مصر ، اذ بنا نوجه الاتهامات الى بعضنا البعض ٠٠٠ الاقباط غاضبون ويتناقلون أخبارا حول ما يحدث بين الطلاب فى المدن الجامعية ، فى الاسكندرية وفى المنيا وفى أسيوط ٠٠٠

السلطات الدينية القبطية تستخرج من ملفاتها القديمة حوادث حريق كنيسة الخانكة وكنيسة قصرية الريحان فى مصر القديمة ، وكنائس أخرى صغيرة فى أماكن متفرقة وقرى هنا وهناك ٠٠٠ حوادث العدوان البسيطة تضخم وأنباء الكدمات للطلاب تصور وكأنها حوادث قتل ٠٠٠

والجمعيات الاسلامية من الجانب الآخر تصيح مطالبة بحقها فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وكأن الاقلية القبطية هى العثرة فى تحقيق هذا الهدف ٠٠٠

وتخرج المنشورات هنا وهناك ٠٠٠ حتى يقال ان بعضا من هذه المنشورات مدسوسة ممن يجدون لهم مصلحة فى شق مصر ٠

من يكره الحكومة لسبب أو آخر ، يجدها فرصة مواتية لكى يلقى اللوم كله على الحكومة ... ويجد لذلك أسبابا وأسبابا ، ويدلل على أن الحكومة هى التى اختارت محافظا بالذات فى محافظة بالذات لكى يكون ويمول ويشجع الجمعيات الدينية من سنوات طويلة ... وبعض الظرفاء كعادة المصريين فى مواجه الازمات يجدون فى الموقف المشتعل تسلية ويقولون : اتركوا الحكومة تجنى ثمار ما غرست .. !!

على أن النظرة الواقعية والعملية تحتم علينا – رغم كل الرغبة لدى المثقفين فى التحليل والدراسة – أن نجتمع كلنا **لانقاذ الموقف المتأزم أولا** ونطفىء النار التى توشك أن تستعر ، وعندئذ ، نجلس فى هدوء لنحلل ونناقش وحتى نتعاتب ... لان النار ان تأججت وتمكنت فانها ستصيب الصالح والطالح على حد سواء ، وستفجر الغاما كثيرة موقوته وغير موقوته لن يسلم منها مواطن شريف مسلما كان أم قبطيا .

ان **الخريطة السياسية** داخل مصر توضح أن هناك قوى سياسية كثيرة صغيرة ومتناثرة فوق السطح ، ولكن المؤكد ، هو أن هذه القوى التى تتحرك على الساحة قليلة الفاعلية محكومة الحركة ، اذا قورنت

بالقـوى السياسية غير المعلنة أو التى يشار اليها بأنها تحت الارض ، فضلا عن تنظيمات دينية اجتماعية قـد تبدو مظهرا بعيدة عن عـالم السياسـة ولكنها ذو أثر وتنظيم مؤثر فى الساحة السياسية .

واذا تركنا جانبا ساحة مصر الداخلية واتجه نظرنا الى **خريطة الشرق الاوسط** والمنطقة العربية ، نجـد أن الدول والشـعوب على طـول المنطقة وعرضها تعيش صراعات وتفجرات طائلة ، ومن الطبيعى أنه بالقـدر الذى نكون فيه **مؤثرين** فى الاحداث وفى المنطقة ، لابد وأن نكون كذلك وبنفس القـدر **متأثرين** بالاحـداث والصراعات التى تدور من حولنا ، فلسنا جزيرة معزولة فى مياه المحيط الهـادى .

واذا كان **الصراع السياسى فى لبنان** والذى أخـذ شكل الصراع الطائفى ، قـد تفجر عـام ١٩٧٥ عقب أحـداث صغيرةه نا وهناك ، فان الواقع المرير الـذى يعيشه لبنان حتى الآن ليدل على أن كل الطوائف الدينية والسياسية قـد عانت من الصراع . فلا غالب ولا مغلوب فى الصراع الطائفى أو الحرب الاهلية ولكنه خراب ودمار على الكل . ان ذلك يدعونا لان نبذل كل الجهد ونتوادد ، ونرجح العقل والحكمة ونكبت بعض المشاعر وربمـا

بعض ما يتصوره كل منا حقوقا أو واجبات أو أهداف ... لكي نجنب **«لبننه مصر»** ولو على الطريقة المصرية .

صحيح أن ظروف مصر تختلف تماما عن ظروف لبنان ، فالمصريون في الاساس مسالمون ويبتعدون عن العنف بقدر الامكان ، فمن المعروف أن أغلب شعب لبنان رجلا أو امرأة ، وربما طفلا أو شيخا ، غالبا ما يكون لديه سلاح وقد تمرس على أن « يقوس » أي أن يصوب الطلقات النارية من بندقية أو مدفع ، ولعلها زادت الآن وأصبحت الهاون أو الصاروخ .

ان وادي مصر المنبسط وسريان الماء الهادىء على صفحة النيل قد أوجدت نفوسا منبسطة هادئة ، بخلاف الجبال والوديان في لبنان ، والتي يتواجد فيها وعليها تكتلات على أسس طائفية ، ومن ثم **فان مصر لن تتلبنن على الطريقة اللبنانية ... حمدا لله .**

ولسنا من السذاجة بحيث نردد ترديدا ميكانيكيا بأن ما حدث في لبنان لا يمكن أن يحدث في مصر ، كما لو كنا قد تحصنا بواسطة مصل اجتماعي خاص

يمنع أمراض الغير من أن تصيبنا ... فنحن شعب مثل باقي الشعوب له مميزاته وله كذلك سلبياته ، والكل يدرس ويتفنن في معرفة تكويننا النفسي لعله يخترق حصننا من خلالنا .

وفي ذات الوقت هناك نغمة أخرى ليست مقنعة مؤداها هو أنه ما دام هناك **مخططات خارجية** تعبث وتدفع بنا نحو الفتنة الطائفية ، فان هذا قدرنا ولا سبيل لدفعه ... ولكنني أستنكر هذا المنطق أيضا ، لانه يدل على السلبية أو أننا شعب مسلوب الارادة ... ان هذا بلدنا ومصيره بأيدينا ، أو على الاقل ينبغي أن يكون كذلك ، ولابد لنا في القضايا المصرية من أن نتمسك بان يكون حاضرنا ومن ثم مستقبلنا في عصمتنا ... وهذا هو مغزى ما يسمى **بالقضايا المصرية والوطنية** حيث يمكن أن يتم حولها **اجماع وطني** شبه كامل .

وللامانة فانني كمصري قبل أن أكون قبطيا ، أعتقد أنه لا توجد قضية أفضل أو أهم أو أكثر حيوية من قضية الوحدة بين الاقباط والمسلمين يمكن أن يجتمع عليها وحولها الغالبية الكبرى جدا من شعب مصر .

ان **المؤامرات الخارجية لا تخلق المشكلة ،** ولكنها تستفيد من شرخ قائم فتعمقه حتى ينهار الجدار ويتساقط على كل من فيه ، ولعلى فى غنى عن أن أعدد الجهات التى من حولنا والتى ترغب فى أن تعمق الشرخ ٠٠٠

كلنا يعلم أن اسرائيل كدولة قد بنيت على فكرة عدم تمكن اليهود فى أغلب دول العالم من أن يمتصوا ويعيشوا فى بلادهم الاصلية ، فاليهودى البولاندى عاش لمئات السنين فى بولاندا ، ولكنه لم يمتص بل ظل متمسكا « بيهوديته » وينطبق نفس الشىء على اليهودى الالمانى أو الفرنسى أو الروسى أو الامريكى ٠٠٠

وهنا يجدر الاشارة الى أن أغلب اليهود فى البلاد العربية لم يشعروا بالاغتراب الذى شعر به يهود أوروبا ، ولذلك لم يهاجروا الى اسرائيل الا فى سنوات متأخرة بعد أن انشئت اسرائيل بالفعل ٠٠٠ بل لعل الكثيرين منهم راغبين لو اتيحت لهم الفرصة ليعودوا مرة أخرى الى بلادهم العربية الاصلية ٠

ومن ثم كنت ولا زلت أنادى ــ وكما كتبت فى ذلك مرات عديدة ــ **أن الوحدة الوطنية فى مصر هي الرد الحضارى على اسرائيل** ، لاننا أثبتنا ــ وأرجو أن

لا تكون صيحتى قـد جاءت متأخرة ـ ان العشرة الحلوة بين المسلمين والاقباط فى مصر كانت البديل للفلسفة الصـهيونية ٠٠٠ ومن ثم فمـن الطبيعى أن تكون اسرائيل ـ وهى تراقب ما يحـدث فى مصر ـ فى موقف أتصوره وكأنها « **تضحك من وراء كمها** » سعيدة بهذا الاختلاف وتتمنى أن تراها فتنة مستشرية لكى تعطى زعيم اسرائيل المتعصب الفرصة لكى يطالب بحمـاية حقوق الاقليات استمرارا لتصريحات مشهوره تتعلق بحماية الموارنه فى لبنان أو غير ذلك من أمور ، وربمـا استمرارا لمـا رسمه الانجليز من حماية حقوق الاقباط أثناء وضع دستور ١٩٢٣ والذى رفض فيه الاقباط أى نصوص تتعلق بحقوق تمثيلهم فى البرلمـان مكتفين بأن « المصريين لدى القانون سواء دون تفرقة بسبب الدين أو الاعتقـاد أو الجنس ٠٠٠ الخ » ٠

ومما يؤكد وجهـة نظرى ما نشر من أن جامعـة برنستون فى أمريكا قـد عقدت فى يونيو ١٩٧٨ مؤتمرا علميا لدراسة رسم خريطة جـديدة للمنطقة وكان ذلك تحت اشراف الاسـتاذ المشهور برنارد لويس والذى يعرف بتعاطفه مـع الصهيونية ومن خـلال دراسات أكاديمية يدرسوننا فيها جيـدا ، ناقش المستشرقون

العباقرة رسم خريطة جديدة للشرق الاوسط بتفتيت الدول الحالية الى دويلات عنصرية وطائفية ودينية صغيرة ، تجد فيها الاقلية المسيحية فى لبنان مكانا لها مع الاقلية المسيحية فى فلسطين وسوريا ، ثم تنضم وتتجمع الاقليات الكردية فى العراق وايران وكذلك السنة فى لبنان وسوريا والعراق ، ويمكن تجميع كل من الدروز والشيعة والعلويين وغيرها بحيث يكون الكيان الصهيونى ذاته من حجم معقول بين هذه التجمعات الهزيلة ، وتجد اسرائيل لها مبررات وجودها الطائفى والعنصرى . . . . اذن هناك مخططات .

ويوجد من بيننا بعض المحللين المتشائمين الذين يرون الفتنة استمرارا لمخطط استعمارى يرغب **تفتيت المنطقة العربية من الداخل** ، فبعد أن انكسرت شوكتها بأن أصبحت مصر فى جانب والدول العربية الاخرى ـ وهى أيضا منقسمة لاسباب مختلفة ـ فى جانب آخر . ان هؤلاء المتشائمين يزعمون أن المخطط هو فى أن تصبح مصر وكأنها جثة هامدة من خلال شرخها وطنيا بفتنة بين الاقباط والمسلمين . .

وفى حوار مع أحد الوزراء حول الازمة والفتنة قدم تصوره الشخصى وهو أنه يعتقد أن الشيوعيين

هم وراء هــذا المخطط ، لانـه ــ على حــد قولـه ــ لا يمكن للشيوعية أن تغزو مصر الا بعــد شقها وتفسخها ، وهذا ما لا يحدث فى مصر الا اذا شرخت على أساس طائفى مذهبى دينى ، نظــــرا لتمسك المصريين بمعتقــداتهم الدينية تمسكا شديدا يفوق حتى الانتماء الطبقى ٠٠٠ ويردد وجهة النظر هــذه ، عــديد من الصحف المسماه بالقــومية والحــكومية ٠

أما المتخصصون فى **علم الاجتماع** فيقدمون تعليلا آخر ، وهــــو **أن نكسة عــام ١٩٦٧** قــد أوجــدت احساسا بأن الهزيمة هى نتيجة لبعــد الشعب عن طريق الدين القويم ، ومن ثم اتجه الشعب وبالذات الشباب الى التدين وكان ذلك ملحوظــا بالفعــل ، عنـــد كل من المسلمين والاقباط على حــد سواء ، فى الزيادة الملحوظة لممارسة العبادات فى المساجد والكنائس ٠ ومما يجــدر الاشارة اليه كذلك فى هــذا الشأن هــو ظاهرة « **الهوس الدينى** » التى اجتاحت اسرائيل عقب انتصارها فى عام ١٩٦٧ ، اذ اعتقد الشباب هنــاك أن هــذا النصر الضخم وغير المتوقــــع كان من الله « حامى اسرائيل » فرددوا أغنيـة تحيى انتصار داود بالمقلاع على جليـــات الجبار ، وفق ما هو معروف فى قصص التوراه وهكذا فقد ازداد تمسك شــعب اسرائيل بالشعائر الدينيـة ، وزادت

شعبية الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة والتى نلمس مظاهرها فى الحماس الضخم لانشاء المستوطنات فى الضفة الغربية ، باعتبارها مناطق يهودية ، وفق نصوص التوراة تحت اسم « يهودا والسامرة » ولعل ذلك كان تمهيدا لانتصار الاحزاب اليمينية المتعصبة على الاحزاب المسماة بالمعتدله والمؤمنه بالاشتراكية الديمقراطية .

أما الاقتصاديون فيقدمون تحليلا آخرا وهو أن سياسة الانفتاح الاقتصادى قد أوجدت طبقات ثرية ثراءا هائلا وفى وقت قصير ، فزادت الهوة بين الطبقات وأدى ذلك الى **تحلل القيم** فى مناخ الفرص المتاحة للثراء بطرق شتى ، ليست بالضرورة أن تكون كلها شريفة أو قانونية ، وكان رد الفعل لدى الشباب النقى هو الالتجاء الى الدين والتعمق فيه بحثا عن شكل مجتمع أفضل بعد أن تولدت لديهم قناعة من منطلق الممارسة السياسية التى قدمت الهزيمة لنظام اشتراكى وحلت محله مجتمع رأسمالى يبتعد بسرعة عن القيم ، فلا بأس من البحث عن الطريق السلفى باعتباره الحل الوحيد الذى لم يختبر .

أيا كانت الاسباب والمسببات فان الوقت الحالى

هــو وقت البحث عن درء الصدع وتجاوز الازمة وعندئذ سوف يكون فى مقــدورنا جميعـــا من منطلقات فكرية متعــددة ومن خلال تعميق السبل والقنوات الديمقراطية أو من خلال الاحزاب أو الهيئات أو التنظيمات المختلفة ، أن نبحث ونحلل بعــد أن نكون قــد تجاوزنا الحساسية في المناقشة ورجحنا العقل والتمحص علي العاطفيـــة والانفعــــال .

مناهــج ثلاث

ومن مشاهداتى وتتبعى للاحداث المسماه بالطائفية عبر الحقبة الزمنية المــاضية أعتقد أن هنــاك **طرق ثلاث غالبا ما تتبع واحــدة منها** وان كانت الممارسة توضح أنها مناهج متداخلة وليست منفصلة وغالبا ما يكون التصرف الفعلى هو محصلة لها جميعها ، أو لاسلوبين منها ، ولكن المحــلل والدارس لابد له أن يصنفها وفــق أصولها ومنابعها فى سبل ثلاث :

١ ــ الاســـلوب الادارى من خــــلال أجهزة وزارة الداخلية أو الاستخبارات وما اليها .

٢ ـ النظر الى القضية الطائفيـــة كما لـــو كانت مشكلة دينية والتعامل مـــع ومن خـــلال رجال الدين والمؤسسات الدينية ٠

٣ ـ العمل السياسى والحضارى من خلال الاحزاب والتنظيمات الثقافية والفكرية ٠

أولا ـ أسلوب الداخلية والمباحث :

لا شك أن العالم كله يلجأ الان الى دراسة وتتبـــع المشاكل السياسية ـ ومن بينها قضايا الصراعات مـــع وبين الاقليات ـ من خلال أجهزة تابعة للدولة بشكل أو آخر وتأخـــذ موقعها فى وزارة الداخلية أو فى أجهزة المباحث أو المخابرات وما اليها تحت أسماء وأشـــكال مختلفـــة ٠

ومن ناحية المبدأ فان هـــذا الاسلوب طبيعى ومتواجد بالفعل فى كافة أنحاء العالم غربا وشرقا ، حتى يمكن القول دون مبالغة أو حساسية بأن حقبة النصف الثانى من القرن العشرين سوف يشار اليها مستقبلا ضـــمن مسميات كثيرة ، باعتبارها فترة نشاط أجهزة الدهاليز والمخابرا تفما دام جزء من النشاط السياسى قـــد اتجه

تحت الارض فلا بأس من أن تتجه أجهزة الحكومة كذلك الى تحت الارض ٠

ولعل ما نشره كوبلاند فى كتابه الشهير « لعبة الامم » عن المؤامرات الامريكية ضد نظام عبد الناصر وما تبع ذلك من سلسلة كتب عن المخابرات المركزية الامريكية ، تصور وتعكس جزءا صغيرا ظاهرا من نشاط هذه الاجهزة السفلية ومدى قدرتها ومحاولاتها فى كل أقطار الارض وبالذات فى دول العالم الثالث الملتهبة ، على التعامل مع الامور السياسية ٠

ولست فى موقع يسمح لى بأن أعرف متى بدأت الدولة فى أن تقيم قسما خاصا لمتابعة مشاكل الاقباط فى أجهزة وزارة الداخلية ، أو متى انشىء القسم أو الاقسام التى تتابع نشاط الجماعات الدينية المختلفة أو ما هى الصلة بين هذه الاقسام كلها ٠ ٠ ٠ ولكن ظواهر الامور تؤكد أن هذا التنظيم يجمع المعلومات « ويأرشفها » ويحللها ٠ ٠ ٠ وليس فى ذلك عيب ، ولكن المسألة التى تحتاج الى تأمل وفحص ، هى أن هذه الاجهزة تتدخل وتوصى وتنقل الصورة للدولة ولعلها هى التى تقدم العلاج ، وهنا يكمن الخطر ٠

وقـد دهشت فى ذات يوم وأنا أدلى بصوتى فى انتخابات المجلس الملى للاقباط فاذا بشاب وسيم وكان يجلس أمام صندوق الانتخاب يقـدم نفسه لى باعتباره المسئول عن الشئون القبطية فى وزارة الداخلية ، ومن خلال الحوار السريع معه ، عرفت أنه يعرف الكثير ٠٠٠ بل لعله يعرف أكثر مما يجب ، ولكن للاسف الشديد ، يتصـور كل من لديه المعـلومات فى مثل هذه الاحوال **أنه قـد صار رجلا سياسيا** ، قادرا على دفع الامور فى اتجاه معين ٠٠٠ ولعله ينجح أحيانا فيزاد لديه اليقين أنـه قادر على الفعل ٠٠٠ ولكن هـذا الفعل يكون ممزوجا بخطط تآمرية ، وقـد تدفع الامور أحيانا الى ما يتصوره رجـل الشرطة « **الامن والامان** » ولكنهـا فى مرات كثيرة يدفع المجتمع كله الى طريق مسدود ، ولا يجـد « رجـل الشرطة » عندئذ من سـبيل الا أن يختفى من الصورة تماما ، ويترك الساحة فى حالة من الفـوضى قـد ينفـذها رجال السياسة على كافة ألوانهم ٠

ثانيا ـ الطريق الدينى :

طـول الفترة الليبرالية فى مصر بين الحربين ووقت أن كان حزب الوفـد متواجـدا وفعـالا على الساحة السياسية ، كانت المشاكل بين الاقباط والمسلمين غير

واردة تقريبا وكان دور رجال الدين من الجانبين قاصرا على الممارسات الدينية وحدها ، وفي هذا المقام يذكر بالتقدير للنحاس باشا موقفه عندما أصر على أن يكون حفل حلف الملك فاروق لليمين الدستورية أمام البرلمان عام ١٩٣٦ حفلا مدنيا ودستوريا خالصا دون أى لون دينى وذلك عندما رغب بعض الباشوات فى تقليد حفلات تنصيب الملوك فى أوروبا وحضور ممثل السلطة الكهنوتيه ٠

أما فى الحقبة الاخيرة ، فيبدو أن اتجاه الريح فى المنطقة كلها قد تغير ، ورغبت قوى أجنبية أن تستفيد من « **الطاقة الدينية** » الهائلة والمختزنة فى « **جوف المجتمع** » ٠٠٠ **وهكذا وجد رجال الدين وقادة الطوائف** المختلفة فى المنطقة العربية وقد أصبحوا زعماء سياسيين وسط الاحداث المتلاحقة من ايران الى السعودية الى المغرب والسودان **حتى أصبح الخط الفاصل بين الدين والسياسة خطا وهميا** ، فرجال السياسة يركبون الموجات الدينية ويستفيدون منها ٠ واضطر رجال الدين فى المقابل أن يعبئوا الجماهير فى الاتجاه الذى يرونه أكثر ملائمة لفكرياتهم وقناعتهم السائدة ، أو فى مصلحة الفئة أو الطائفة التى يتزعمونها ٠

ومن هنا فان مشكلة العلاقة المتشابكة بين الاقباط والمسلمين قد انتقلت من عالم السياسة والسياسيين الى المجال الدينى ، وأصبح التعامل مع المشكلة من خلال رجال الدين ٠ ولذلك فانه ، ما أن يحدث جدل أو خلاف حول انشاء كنيسة قرب مسجد أو ينشأ صراع فكرى بين الشباب فى المدن الجامعية قد يتطور الى تشابك بالايدى ، أو ما شاكل ذلك ، حتى تصل الشكوى أول ما تصل الى رجال الدين من الجانبين ، ثم يتصاعد الموضوع الى السلطات الادارية من خلال أجهزة وزارة الداخلية ٠ ٠ ٠ فان هدأ الجو وأمكن ضبط المشاعر انصرف كل الى سبيله ، ولكن ان تأزم الموقف تم فورا اجتماع غير معلن بين « الاجهزة » ورجال الدين ٠ وقد تزداد الازمة تعقيدا ، فيكون الاجتماع علنا **بين قيادات سياسية فى الدولة ورجال الدين من الجانبين** وتلقي الخطب العصماء ، ويستشهد فيها بنصوص مختاره صارت أكلشيهات محفوظة ٠ ٠ ٠ وهكذا تنتهى الازمة ظاهريا ، ولكن الاخبار مكبوتة ، فهناك تعليمات « **بالاعتام الاعلامى** » وتترك الساحة خالية لاطلاق الاشاعات وتضخيم الاحداث ، وتترسب فى النفوس احقاد وأوجاع لا تحلها المصالحة المظهرية وهكذا تعود الصراعات للظهور مرة أخرى بعد مدة قد تطول أو تقصر حسب الظروف ٠

ان أسلوب للتعامل مع الأزمات والمشاكل الطائفية من خلال رجال الدين من الطرفين ، هو أيضا فى تصورى طريق مسدود ، وان كان الالتجاء اليه فى أوقات الشدة والحدة أمر مقبول ، لان لرجال الدين من الجانبين مكانة مرموقة لدى الجماهير ، خصوصا وقد تمرس أغلبهم الخطابة المنبرية ، وأتقن الاسلوب الذى ترتضبه الجماهير فى الاقتناع ٠٠٠ ولكن التأثير غالبا ما يكون موقوتا ، لان المشاكل لم تعالج من الجذور ، أو من خلال منهج سياسى يقدم الاستناره الفكرية ، فضلا عن تقديم حلول عملية وواقعية تمنع الاحتكاك ، أو تشريعات صريحة تقدم عدالة وتكافء بين المواطنين .

ثالثا ـ المنهج السياسى والحضارى :

ان لم أكن من خلال كل ما ذكرت قد أقنعت القارىء **بأن المشكلة الطائفية هى فى الاساس مشكلة سياسية اجتماعية حضارية** ، فاننى أكون قد ضيعت وقتى عبثا وتطفلت على وقتك أيها القارىء الكريم دون طائل ، فالحوار بين الاديان ينبغى أن يكون من أجل الانسان وتقدمه ومعيشته وحياته أى من أجل تشكيل المجتمع وهذه قضية سياسية انسانية أما الجدل

الفقهى بين الاديان فهو فى رأيى لا يمكن أن يصل فى النهاية الا الى التفرقة والخلاف ، فرغم كل الحصيلة الهائلة من النصوص الدينية ووقائع التاريخ والتى تؤكد العلاقة الطيبة بين ما أصطلح على تسميته « عنصرى الامة » أو المسلمين وأهل الذمة وما اليها ، الا أن هناك بالفعل مجموعة أخرى مضادة من النصوص الدينية والاحداث التاريخية التى قد يمكن أن تثير الغبار على علاقات المودة ، ومن ثم فان المعالجة الدينية لقضية طائفية هى سلاح ذو حدين لا يمكن الاعتماد عليه وحده فى معالجة المشكلة ولهذا فاننى لست من أنصار معالجة موضوع الطائفية من خلال كتب على غرار « المسيحية فى القرآن » أو حسم الصراع الطائفى من خلال نص دينى هنا أو هناك . . . فالعلاقات قائمة بالفعل والسلام الطائفى له كل مقومات الحياة .

على أن العلاقات بين الشعوب والطوائف وحتى الدول مثلها لمثل العلاقات بين أفراد الاسرة الواحدة ، وحتى بين الرجل وزوجته ، تحتاج الى رعاية وتنمية وتجديد ولا تؤخذ باعتبارها حقيقة ثابتة تجدد نفسها بنفسها ، ومن ثم وجب خلق المناخ والقنوات التى تغذى وتنمى وتعمق المفاهيم لتترعرع هذه العلاقات الطيبة ، فتستمد أوصال الوحدة الوطنية .

ان **مشاكل الاقليات فى العالم معروفة ومدروسة** ، وتأخذ أشكالا مختلفة متباينة ، ومن بين مئات المشاكل للاقليات فى العالم تعتبر العلاقة الخاصة بين المسلمين والاقباط فى مصر نموذجا ناجحا وموفقا ، ولعلى لا أمل أن أكرر انها أكثرها توفيقا ، فالعلاقات هادئة وطيبة ورغم كل ما حدث وما سوف يحدث ، فان مصر ستظل متفردة بوحدة شعبها كله ، ولا يعود ذلك الى أن للشعب المصرى أسلوبه الخاص فى التعامل مع المشاكل فحسب ، وانما لان واقع الخواص الاجتماعية والاقتصادية وعلاقات القوى والانصهار فى حضارة قديمة متجددة عبر قرون طويلة وعدم وجود أى فروق عرقية ، كل ذلك وغيره كثير يجعل المشكلة بين الاقباط والمسلمين من القضايا التى يمكن التغلب عليها من خلال « **تزبيت** » العلاقات بين العنصرين من خلال معالجة سياسية ٠

على أن الجانب السياسى فى الموضوع لا يعنى فقط أن المعالجة يجب أن تتم من خلال الاحزاب السياسية وحدها ، وانما يعنى أن التفاعل بين المسلمين والاقباط يجب أن يكون موجودا ومؤثرا فى كافة مناحى الحياة ٠٠٠ فى المجال الثقافى والحضارى ، فعلى سبيل المثال لابد أن يكون التاريخ القبطى والفن القبطى متواجدا

ومستمرا ومرتبطا بالتاريخ الإسلامى والفن الاسلامى والحضارة الاسلامية ...

وفى هذا المقام يحضرنى ما قاله لى **سفير فنلندا فى مصر** فى معرض الحديث عن الفن الفرعونى اذ قال لي : ان بلادكم تتسم بأنها رقائق من الحضارات Layers of Civilisations **مرصوصة فوق بعضها البعض فالعالم كله يعرف تاريخ مصر القديم والاهرامات والمعابد** والفلسفة والديانات والانجازات العلمية فى مجال الانشاء والطب وغيرها عند الفراعنة ، ولكن ما يجب أن تفخروا به أيضا وتعلموه للعالم كله ولاولادكم هو الاضافات الحضارية المتتالية وذات الاثر الفعال فى مراحل القرون المسيحية الاولى أى ما يسمى حضاريا بالعصر القبطى ثم يلى ذلك تاريخ مصر الاسلامى كله وأثره على المنطقة والعالم .

ولا أقصد بالتواجد على الساحة السياسية وجود بعض أفراد من الاقباط فى الاحزاب السياسية المختلفة ، ولكن النهج السياسي لتزييت العلاقات بين الاقباط والمسلمين يحتاج أول ما يحتاج الى **مناخ ديمقراطى ،** اذ بدونه تتفاقم المشاكل وتتضخم كما سبق التوضيح ، فمع الديمقراطية ومن ظلها تذاع الاخبار فى حينها وتنتشر

التحقيقات دون مواربة وعندئذ تضح الحقائق المجردة ، فتختفى الاشاعات وأساليب التضخيم والتهييج ، ومع الديمقراطية يتم حوار بين المناهج الفكرية المختلفة ، فتتضح الافكار الصائبة من خلال اقناعها لغالبية الرأى العام ، وتختفى التيارات الفكرية التى تحث على الكراهية أو التى تبث أسباب الفرقة .

أننى لا أنكر أنه عند فتح أبواب النشر واطلاق حرية الكلمة سوف تتواجد تيارات عنيفة تزحف بسرعة لاغتنام الفرصة ، ولكن مع توافر واستمرارية حريات النشر ووسائل التعبير سيتغلب التيار الوطنى الذى يدعو للوحدة الوطنية لان المقومات الموضوعية القائمة تعبر بالفعل عن أن الوحدة الوطنية متواجده وحية وتحتاج الى ديناميت قوى ومركز ومستمر لكى يمكن فعل أى تخريب لها .

ومن خلال سبل ومناخ الديمقراطية والحريات سوف تنشط الاحزاب السياسية ، وعندئذ سيندفع للعمل السياسى كل من يجد فى نفسه القدرة على ذلك ، مسلما كان أم قبطيا ، فتختفى الفكريات التى تدعو الى التقوقع والتى قد تتحصن فى الاشكال الدينية ومن ثم فسوف تزدهر مع الوقت الافكار المستنيرة

فى هـذه التيارات والجماعات الدينية وعندئذ سيتم التـلاقى بين هـذه التيارات سـواء أكان اسـلامية أم مسيحية ، ولكن على أسس فكرية واضحة ستتبلور مع الزمن •

ولعـل مربط الفرس فى خطـة التحـرك والعمـل السياسى والثقافى يكمن فى أن التحرك لابد أن يكون واسـعا **ومستمرا** بمعنى أنـه **لا يقتصر على تحـرك الحـكومة** أو حزبها فحسب ولكن يحسن بل يجب أن تتواجـد فيه كافة الاحزاب والتيارات السياسية ، أما مجتمعه أو متفرقة ، وفى ذلك الوقت لابد من استمرارية العمل بمعنى أن **لا يقتصر التحرك على أوقات اشـتعال الازمـات** اذ أن المؤكد هـو أن الموضوع لحساسيته يحسن أن يطرح وقت أن تكون مشاعر الناس هادئة وحين ترجح المصالح القومية كلها على المصالح الفئوية ان وجـــدت •

وأذكر فى هذا المقام كيف أن الحكومة قـد شكلت لجنة لتقصى الحقـائق برئاسـة **الدكتور جمـــال العطيفى** وقت أن كان وكيلا لمجلس الشعب وعقب حريق كنيسة الخانكة عام ١٩٧٢ وقـد تقصت بالفعل وقـدمت تقريرا جيدا لازلت توصياته وملاحظاته صالحة للتطبيق حتى الآن •

ولكن ما أن انتهت الازمة وجاءت أحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣ حتى اختفى التقرير بكل ما يحمل من معلومات وتوصيات ٠

وها هي الازمة الحالية يوحى بأنها ستنتهى أيضا التي لجنة تدرس وتفحص وتقدم تقرير غالبا ما سيكون مصيره هو مصير التقرير الاول ، اذ لا يوجد تنظيم أو هيئة أو وزارة تتابع تنفيذ وتوصيات مثل هذه اللجان الا تنظيمات وزارة الداخلية وهي تعمل بمفهوم بوليسى وليس بمفهوم سياسى مفتوح ٠

خلاصة القول هي أن قضية العلاقة بين المسلمين والاقباط هى فى الاساس مشكلة سياسية ومن ثم وجب أن يكون طرحها والحوار حولها والنظر لمعالجتها نظرة سياسية يشترك فى حلها السياسيون والمفكرون « العلمانيون » وليس من خلال رجال الدين أو رجال الشرطة والذين يحركهم دوافع ليست شاملة النظرة ٠

كلمة ختام :

ان المتابع للحركة السياسية فى مصر وبالذات منذ ١٩٥٢ يلمس كيف أن الحزب الحاكم ـ أيا كان أسمه أو لونه أو شكل تنظيمه ـ حريص كل الحرص على اطفاء لهيب أى خلاف حول الوحدة الوطنية ولذلك فهو يتصرف بسرعة وبحسم لنهو الازمات .

ومنذ عام ١٩٦٧ طفت هذه المشاكل على السطح بشكل واضح ولكن ما أن يقضى على أزمة حتى تأتى أزمة أخرى وما هو مصدر القلق لدى الجمهرة الغالبة من شعب مصر الآن ، هو أن **معدلات تتالى هذه الازمات فى أزدياد مستمر** فبعد أن كانت هناك أزمة مثلا كل عدة سنوات ، اذ بها تصبح كل عدة أشهر فضلا عن أن حده الازمات وصداها قد أصبح أكثر اتساعا فبدلا من أن يؤدى حدث بسيط فى قرية أو موقع ما الى ايجاد مناخ سيء فى محيط هذه القرية أو هذا الموقع ، اذا بالمشاعر والاحداث يتسع مداها حتى وصلت الى أن يصدر **المجمع المقدس** قرار تتصدى له الدولة من خلال **بيانات فى مجلس الشعب** أو فى مقالالات فى صحف قومية ويثار الموضوع ليشغل الرأى العام فى مصر على

كافة مستوياتها بل يصبح له صدى على الساحة العربية ويصل الى أمريكا واستراليا وغيرها ٠

ان **المشكلة لا تتحمل أن نتركها وشانها** بل يحسن أن نسلط عليها الاضـواء لنعرف مكنونتها ، فلدينا من تاريخنا ومن العلاقات البشرية الحيـة والمتداخـلة بين المسلمين والاقبـاط ، ما يجعلنـا قادرين للتصدى لهـا **وابطـال مفعول اى مخطط خارجي** يبغى شق مصر من الداخـل ٠ على أن ذلك **لن يتـأتى من تلقـاء ذاته** ولكنه يحتاج الى توعية شعب مصر على كافة مستوياته وبطرق مختلفة ، ومن هنا كان هـذا الكتاب الذى بين يديك والذى أتصوره يطرح مسائل معروفة فى الكواليس ولكنها لم يكن من الوارد طرحها على الرأى العام المصرى كلـه ٠ **وأرجو أن يكون هـذا الكتاب فاتحة لسلسلة من الكتب والمقـالات** والدراسات وغيرها والتى تعالج نفس الموضوع من رؤى مختلفة ولمستويات ثقـافية متباينة ولكن للوصول الى هـدف واحد هو المحافظة على الوحدة الوطنية وتحقيق استمرارها ونموها ٠

ودون مغالاه يمكن القول بأن شعب مصر كلـه ان أجمع على شىء فستكون الوحـدة الوطنية على رأس القائمـة ولكن لا توجـد فى مصر هيئـة أو تنظيم أو

مؤسسة ترعى أو تعمل على ذلك وفى الجانب المقابل توجد جمعيات هزيلة العضوية أحسبها قليلة العدد تؤمن بالتعصب الدينى وربما تدعو له عن وعى أو عن جهل ولعلها من الجانبين ولكن الخطير فى الامر هو أنه توجد بالفعل عديد من المنظمات والتنظيمات ـ غير المعلنة ـ وكلها خارج مصر **تبث سمسوها** من أجل فك رباط الوحدة الوطنية وذلك لدوافع وأسباب شتى ـ كما أوردنا على ذلك أمثلة فى هذا الكتاب ـ من أجل ذلك وجب على شعب مصر أن **ينظم نفسه بطريقة أو أخرى** من أجل الدفاع عن بقاء واستمرار الوحدة الوطنية وفوق ذلك من أجل تنميتها وتعميقها بسبل شتى .

وفى مصر **عشرات وربما مئيات الشخصيات** ـ ولولا الحرج لطرحت أسمائها فى هذا الكتاب ـ كلها أسماء نظيفة ولامعة فى مجالها ، تؤمن بالوحدة الوطنية قلقه عليها ومستعده لخوض المعارك فى سبيل استمرارها . . . ولكن كل منهم مجرد فرد غير قادر على فعل الكثير . . . ولكنها ان تجمعت لصارت **لجنة قومية وطنية** قادرة على فعل الكثير .

لقد تعودنا في مصر أن نترك المبادرة للحكومة ،

وان كانت دول أوروبا الغربية قد تجاوزت هذه القاعدة وصارت المباده فيها للفرد أو لمجموعة أفراد ولكننى متأكد سنواء بدأت الحكومة أو بدأ بعض الافراد ، فان مثل هذه اللجنة القومية للوحدة الوطنية سوف تفعل الكثير .

ولابد لى فى هذا الشأن أو أوضح أن لا تكون هذه اللجنة القومية - ان قدر لها أن تقوم - على مستوى الشخصيات العامة فى القاهرة . أو تلك المعروفة على مستوى مصر كلها .. لان الامر يحتاج وبالضرورة الى **لجان اقليمية على مستوى المحافظات والمدن والقرى** وبالذات تلك التى تحمل خواصا طبيعية أو ذاتية تولد الاحتكاك فما من قرية أو مدينة فى أعماق الصعيد أو مطلة على الساحل فى الشمال ، الا وبها شخصيات **متزنة ومتعقلة** وموضع احترام غالبية الناس ، يمكنهم لو سنحت لهم الفرصة أن يقدموا المشورة والنصيحة ويحلوا المشاكل القائمة بأسلوب أفضل كثيرا من أساليب رجال الادارة أو رجال الدين التقليديين .

وفى الختام يعرف العام والخاص أننا فى **منطقة ملتهبة من العالم** يملأها الصراع والخلاف وتباين وجهات النظر ... فلتختلف النظريات السياسية كيفما شاءت ، وليكن الصراع الغربى

الاسرائيلى موضع حلول متضادة وليتغير المجتمع وفق هواه يمينا أو يسارا ولكن فى كل هذه الاحوال اخرجوا لعبة الصراع الطائفى من الحلبة فهى لعبة خطرة سيكتوى بنارها من يلعب فيها أو بها قبل أن يكتوى الآخرون .

ولتبقى مصر وطنا للوئام والائتلاف الوطنى بين الاديان من أجل حياة أسعد وأرقى للانسان ..

* * *

عزيزى القارىء الكريم

ان كان لك رأى أو اضافة أو نقد أو اقتراح بأسماء شخصيات أو تنظيمات تتبنى الدفاع عن الوحدة الوطنية فأرجوك ان تكتب لى وليكن عنوانى مجرد موقع لقاء .

شكرا لك ؟

ميلاد حنا

٤٩ شارع عبد الخالق ثروت

ميدان الأوبرا - القاهرة

محتويات الكتاب

صفحة

● ما فى هذا الكتاب ٣

● الجزء الاول

ميزة أخرى للمنابر ١٣
من أجل مزيد من الوحدة الوطنية ٢٣
قانون واحد لشعب واحد ٢٩
فى سبيل مصر ووحدة شعبها ٣٧

● الجزء الثانى

موقع أقباط مصر على الساحة السياسية ٤١
من هم أقباط مصر ٤٤
خواص أنثروبولوجية ٥٢
تعداد اقباط مصر ٥٨
الاقباط ومصطفى كامل ٦٨
الاقباط وسعد زغلول ٧٦
الاقباط وعبد الناصر ٨٤
الاقباط واليسار ٩١

● الجزء الثالث

نعم أقباط ... ولكن مصريون ١٠٣
مناهج ثلاث ١١٦

● كلمة ختام ١٢٩

رقم الايداع بدار الكتب ٣٣٠٦/ ٨٠
الترقيم الدولي ٩٧٧/٧٠٤٧/٤٥/٢

المطبعة الفنية
٢٢ حارة الشنفاتية ـ عابدين ـ القاهرة
ت ٩١١٨٦٢



د. ميلاد حنا

* استاذ الانشاءات كلية الهندسة جامعة عين شمس .
* بكالوريوس الهندسة المدنية من القاهرة عام ١٩٤٥ .
* دكتوراه فى الهندسة الانشائية من بريطانيا عام ١٩٥٠ .
* عضو عامل فى جمعيات هندسية دولية عديدة .
* له بحوث علمية هندسية معروفة .
* مؤلف كتاب « أريد مسكنا » .
* له عدد كبير من الدراسات والمقالات الاجتماعية والعلمية المنشورة .

● انا وانت يا ابن بلدى اخوات .. ومصر امنا .

الناشر : مكتبة مدبولى

720
2
431
Bibliotheca Alexandrina
06471154